دور الإعلام في توجيه الشباب

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

الأكاديمية تأليف العربية للعلوم الأمنية
إدارة المطابع
نسخة الأرشيف
الرقم ٢/٦١ التاريخ ١٤٠٨/٢/١٦

دور الاعلام
في توجيه الشباب

أبحاث الندوة العلمية الخامسة

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

١٤٠٨هـ

حقوق النشر محفوظة للناشر

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

الرياض

١٤٠٨هـ (الموافق ١٩٨٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــــات

التقديم بقلم الدكتور فاروق عبدالرحمن مراد ١١

دور الاعلام في ترسيخ القيم الكبرى في المجتمع العربي والاسلامي.
الدكتور راشد الراجح الشريف ١٣

الترفيه في وسائل الاعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب.
الدكتور منير ناصر ٢٥

موقف الاعلام س التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي.
الدكتور ابراهيم إمام محمود. ٥١

دور الاعلام في اثارة طموحات الشباب.
الدكتور عمر الخطيب ٧٧

الاعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب.
الدكتور محمد عزالدين بطروخة ٩١

الاعلام وبرامج الخدمة العامة للشباب.
الأستاذ عبدالله شقرون ٩٩

العنف في وسائل الاعلام وآثاره على الناشئة والشباب
الدكتور عدنان الدوري ١٢٩

مسئولية الاعلام تجاه تجارب التقليد في المجتمع العربي المعاصر
الدكتور أبوبكر باقادر .. ١٥١

البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية. بماذا تعد الشباب؟
الأستاذ سعد لبيب ١٦٣

التقديـــــــم

مع مضي الوقت وتعقُّد الحياة الاجتماعية وزيادة التأثيرات المتبادلة ما بين الشعوب اتضحت أكثر فأكثر المشكلات التي يعاني منها الشباب والتي لا تكاد تخرج في أساسها عن الحيرة والقلق في غياب معايير واضحة وثابتة للسلوك والعلاقات المتبادلة

ولقد انعدمت أو كادت الروابط الأسرية الحميمة في عالم بات تسوده الأنانية الفردية والمصالح المادية، فانبرى الكُتاب والمفكرون يبحثون عن حلول لهذه الأزمة الحضارية، ولما صاحب كل ذلك ازدهار ونمو وسائل الاتصال الجمعي وأدوات الإعلام العامة ذكرت هذه في إطار البدائل الممكنة للتوجيه والارشاد.

يقولون: إن وسائل الاعلام سلاح ذو حدين، والتحكم فيها يتطلب السيطرة على برامجها وتوجيهها وجهات ترضاها الجماعة

يتناول معالي الدكتور راشدالراجح دور الإعلام في ترسيخ القيم الكبرى في المجتمع انطلاقاً من مبدأ تبليغ الدعوة، وحدد للاعلام الاسلامي ثلاثة طوابع:

١ ـ التعليم والارشاد والتوجيه والهداية.
٢ ـ تبليغ الدعوة.
٣ ـ الحكمة والموعظة الحسنة.

ويعالج الدكتور ابراهيم إمام دور الاعلام كأداة فعالة في مواجهة تحديات الحضارة الحديثة إزاء الشباب العربي ويعتبر أن الاعلام موقف ضروري وان الإعلام يبث أساساً القيم في المجتمع ويعطي بذلك أهمية

قصوى لمضمون البرنامج الاعلامي، ويؤكد هذا الخصوص الدكتور أبو بكر باقادر على الوظيفة السياسية التوجيهية الهامة للاعلام، ثم تعالج مقالات الأستاذ محمد بطروخة والدكتور منير ناصر الاعلام من منطلق اشباع حاجات في المجتمع تتصل بالشباب منها شغل الفراغ وإثارة الطموح والانشغال بالخدمات العامة.

وللمحتوى الاعلامي تأثير على الشباب من الناحية السلبية في برامج تعلم العنف كما يبين ذلك مقال الدكتور عدنان الدوري.

وأخيراً فإن للاعلام مستقبلا خطيراً في التأثير على الشباب في عصر الأقمار الصناعية الذي يتناوله الأستاذ سعد لبيب في مقاله (البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية، بماذا تعد الشباب؟)

هذه المعالجة التي يقدمها هذا الكتاب تنبه الى خطورة الدور الاعلامي وضرورة الالتزام في الوظيفة الاعلامية، وأرى أن مشكلة حرية الاعلام لابد أن تحل في مجتمعنا العربي لمصلحة الرسالة الخالدة في توجيه شباب الأمة

فاروق عبدالرحمن مـــــراد

دور الاعلام في ترسيخ القيم الكبرى للمجتمع العربي والاسلامي

الدكتور راشد الراجح الشريف*

يعتبر موضوع هذه الندوة من اخطر واهم الموضوعات التي تشغل اذهان الناس وتستولي على جلّ اهتمامهم. وقد اصبح الاعلام فناً له أهدافه ووسائله ورجاله وسلبياته وايجابياته وآثاره. وأصبحت التكنولوجيا الحديثة من أهم مقوماته، وفتحت له الأقسام العلمية والكليات والمعاهد بالجامعات.

واذا كان بعض الكتاب المعاصرين قد عرفوا الاعلام بأنه احاطة الرأي العام علما بما يجري من امور وحوادث سواء في الشئون الداخلية أو في الخارجية، فان الاعلام بمفهومه الشامل اوسع من هذا بكثير وليس هذا مجال تحقيق ذلك، ولكن الذي يهمنا هنا هو دور هذا الاعلام في ترسيخ القيم والمبادىء والمثل في نفوس افراد المجتمع وبالأخص مجتمعنا العربي المسلم.

لكل مجتمع في هذه المعمورة مبادىء ومثل وقيم وركائز وأخلاق ثابتة يقوم عليها كيانه وبنيانه، وتؤسس عليها حضارته وتراثه والمجتمع العربي جزء لا يتجزأ من المجتمع الاسلامي الكبير بل هو قلبه النابض ومنطلق الدعوة الكبرى التي جاء بها المصطفى (ﷺ) ﴿قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني.﴾ لذا فعلى هذا المجتمع مسئولية كبيرة امام الله ثم امام التاريخ والبشرية بأجمعها.

---

* مدير جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة.

والذي لاشك فيه ان العقيدة الاسلامية هي أهم تلك القيم والمبادىء الكبرى التي يقوم عليها كيان المجتمع العربي والاسلامي، وان تلك الحضارة الضخمة العظيمة التي يتحدث عنها العالم بأسره لهذه الأمة يعود فيها الفضل ـ بعد الله عز وجل ـ الى التمسك بهذه العقيدة الصحيحة والتي بدونها لا قيمة لنا.

ومن هنا ينطلق حديثنا ونبدأ حوارنا، فالمحافظة على هذه العقيدة وبذل كل رخيص وغال في سبيل ترسيخها وتثبيتها واجب عين لا مفرَّ منه ولا مندوحة عنه، وكل ما يمسُّ هذه الجوهرة الثمينة يعتبر خدشا للكرامة واعتداء على شرف الأمة يجب الدفاع عنه

هذه حقيقة كلنا يعرفها ولكن اردت تقريرها في البداية، ﴿**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**﴾[1].

الاعلام ذو أثر كبير في بناء شخصية المجتمع وصقل مواهبه، وعرض آرائه ومعطياته وتوجيه مسار التربية والثقافة فيه بمختلف وسائله المسموعة والمقروءة والمرئية.

والجماعات الانسانية على اختلاف بيئاتها ومبادئها وأجناسها لاغنى لها عن الاتصال ببعضها بطريقة او بأخرى لنقل مشاعرها وافكارها وأحاسيسها واخبارها وتبادل المنافع المادية والمعنوية فيما بينها.

والانسان كائن حي وهو مدني بطبعه ـ كما يقال ـ يتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه يتأثر به ويؤثر فيه، يأخذ منه ويعطي له بشتى الوسائل ومختلف القنوات

---

١ ـ سورة الذاريات. الآية: ٥٥

وخطب النبي (ﷺ) ورسائله الى الملوك والأمراء ودعوته الكبرى وقوله في اكبر تجمع اسلامي في حجة الوداع «فليبلغ الشاهد منكم الغائب» دليل واضح على اهتمام الراعي بأمور الرعية وحرصه الشديد على مصلحتهم وجلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم. وقد كانت دعوته (ﷺ) قائمة على عقيدة لا يشوبها شك او ريب، وصدق لا يعتريه كذب، واخلاص وامانة لا يخالطها غش او كتمان. فآتت تلك الدعوة ثمارها يانعة شهية، وها نحن نتفيأ ظلالها على سر العصور وتعاقب الليالي والأيام.

وهكذا فالاعلام الحق هو الذي يقوم على التأصيل، والتأصيل هو الذي يبنى على الدين المتين، والخلق الفاضل، والقدوة الحسنة، والأمانة في النقل، والدقة في الرواية، والتثبت في الاخبار، والصدق في الحديث.

ولذا! فان أملنا في اعلامنا العربي خاصة والاسلامي عامة، ان ينبثق من هذه البيئة المسلمة المحافظة يدعو الى الفضيلة ويغرسها في النفوس ويحارب الرذيلة بشتى صورها ويحذّر منها ومن عواقبها

وان أي انحراف عن هذا المفهوم هو نذير شؤم ويعدّ من اللغو والزبد الذي يذهب جفاءً، امّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

جاء في نظام المطابع والمطبوعات بالمملكة العربية السعودية، (مادة ١٦) (يجب ان تكون اهداف الصحافة بمختلف انواعها الدعوة الى الدين الصحيح ، ومكارم الأخلاق، وارشاد الجمهور الى ما فيه الخير والتقدم والاصلاح).

وهذا حق وأملنا ان يسير على منواله جميع صحفنا العربية والاسلامية بل وجميع وسائل اعلامنا.

اننا عندما نتصفح تاريخنا العربي والاسلامي على مر العصور نجد صفحات وضاءة مشرقة في هذا الجانب الحضاري العريق، وبالقاء نظرة عاجلة على واقع الاعلام في صدر الاسلام بمفهومه آنذاك نجد ان الاعلام الاسلامي هو الذي وضع النواة الأولى لفن العلاقات الانسانية بشقيها (العلاقات الداخلية، والعلاقات الخارجية)، كما انه وضع الأساس الأول لفن الدبلوماسية (الحقيقية) والتعامل الانساني المتحضر مع الآخرين كما يقرر الدكتور حمزة، في كتابه: الاعلام في صدر الاسلام .. ثم يوضح ذلك بأن الله تبارك وتعالى بعث رسوله (ﷺ) الى الناس كافة بلا تفرقة بين العرب وغير العرب من بني البشر

ومن هنا بدأت اهمية الاعلام الاسلامي بناءً على وجوب تبليغ الدعوة الاسلامية الى سائر الأمم، الاَّ انه لابد من التبليغ داخليا قبل الاتصال بالأمم والشعوب الأخرى، انطلاقا سن قوله سبحانه: ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾[1] كما قال تعالى ﴿**قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا**﴾[2]

وعلى ضوء ذلك يتضح أن من اهم ما اتصفت به الأحاديث النبوية:

١ - طابع التعليم والارشاد والتوجيه والهداية.

٢ - طابع الدعوة والتبليغ.

٣ - طابع الحكمة والموعظة الحسنة.

يتضح ذلك في خطبه المنبرية وفي رسائله الى الرؤساء والأمراء كما سبقت الاشارة اليها

---

١ - سورة الشعراء الآية: ٢١٤

٢ - سورة الأعراف. الآية: ١٥٨

يضاف الى ذلك ما جادت به قريحة الشعراء من الصحابة أمثال حسان ابن ثابت وعبدالله بن رواحة وغيرهما دفاعا عن العقيدة والذود عن حياضها ومن ذلك دفاعه عن النبي (ﷺ) قبل اسلام ابي سفيان.. قال:

ألا ابلغ ابا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء

بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الاماء

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت مباركاً براً حنيفاً ... امين الله شيمته الوفاء

وغير ذلك كثير

وهذا ضرب من ضروب الاعلام في صدر الاسلام، ولكنه ما قال الا حقا، وما نطق الا صدقا، وهو ما نتوخاه ونأمله في اعلامنا العربي والاسلامي ان شاء الله

والاعلام العربي بصفة خاصة في حاجة الى اعادة صياغة انطلاقا من هذه المفاهيم النبيلة والغايات الحميدة، حيث اصبح الاعلام بجميع صوره جزءا من وجودنا وحضارتنا وتكوين مجتمعاتنا ، متمثلا في: الصحافة، الاذاعة، التلفزيون، دور النشر، المعارض والمتاحف، المحاضرات والندوات. الخ.

ومن اجل ذلك وضعت كل الأجهزة الحديثة من: لاسلكي، وهاتف، وكمبيوتر، وأقمار صناعية، ووكالات أنباء، ومطابع، ومكتبات، ودور توزيع واعلان، ومؤسسات اعلامية مختلفة

واذا كان التأثير الاعلامي في الماضي يتجلى في الصوت والخطبة، فانه في هذا العصر يظهر في الصورة العادية، والملونة، والناطقة، والمتحركة،

يضاف الى ذلك فن الاخراج والتصوير مما يجعل أثر الاعلام كبيراً على المجتمع والأفراد سلبا أو ايجابا.

وبلاشك فان للاعلام دوره في الصراعات الفكرية والسياسية والاقتصادية في الشرق والغرب ومن هنا تأتي اهميته وخطورته

والانسان في نظر رجال الاعلام نفس اعلامية تتغذى بالخبر، وتنمو بالفكر .الخ ومن هنا ايضا تبدو اهمية الاعلام في السيطرة على جمهور الناس وتوجيه مشاعرهم الوجهة التي يريدها (الموجّه) فان وضعت في الخير كانت وسيلة لا تضاهى في البناء والتربية والتوجيه وان وضعت في غير ذلك كانت شراً مستطيراً ينحرف بالمجتمع عن جادة الصواب ويسير به في دروب الغواية فيخاف بعد أمن ويضطرب بعد طمأنينة، والأمن والاستقرار والطمأنينة من اهم عناصر استقرار المجتمعات ونمائها.

ولذا فان على وسائل اعلامنا في جميع البلاد العربية والاسلامية واجبا كبيرا لأخذ الحيطة والحذر من اللوبي الصهيوني الخطير الذي يحاول ان يدس السم في الدسم بأن يندس في كل وسيلة اعلامية في الشرق والغرب، والذي يقف خلف كل وسيلة لانحراف الأخلاق وتقويض الأسر والمجتمعات والقضاء على تراثها وحضارتها

وأعداء ديننا وحضارتنا معروفون بدءا بالصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة وكل ما تولد منها من ملل ونحل واشكال واحزاب وتنظيمات هدامة، (والكفر ملة واحدة) ، وهي تبرز في هذا العصر بما يسمى بالصهيونية والشيوعية والماسونية والوجودية وما الى ذلك

وفي كتاب (ابناؤنا بين وسائل الاعلام واخلاق الإسلام) استعراض لهذا الخطر الداهم ومما جاء فيه. ان الصهيونية قد استهدفت عنصر

الأخلاق وأخذت تضرب به، ونادت بضرب الأخلاق، حتى تستطيع ضرب الحواجز التي تقف وراءها، ومن ثم تستطيع ضرب المؤسسات التي تستند على الأخلاق للسيطرة على مقدرات العالم، ولما كان الاسلام دين خلق فقد كان اول اصطدام للحركة الصهيونية مع الاسلام في دائرة الأخلاق. وكما يقول الشاعر:

واذا اصيب القوم في اخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

وجاء في هذا المؤلف المفيد: (ان النظرة التاريخية لصناعة السينما في العالم تبين انها نشأت وترعرعت وراجت على ايدي عتاة اليهود، وغلاة الصهيونية في العالم، اولئك الذين استطاعوا ان يخضعوا الشباب لمخططهم التدميري فشاعت حركات فوضوية وامتلأت ارصفة الطرقات بالشباب البوهيمي الرافض لكل شيء، المرتد الى حياة بهيمية صرفة، المتجرد من كل اخلاقيات المجتمع الفاضل.

ولدى اليهود حوالي ٢٤٤ صحيفة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، منها ١٥٨ دورية، وحوالي ٣٠ دورية في كندا، وحوالي ١١٨ في أمريكا اللاتينية، وفي حدود ٣٤٨ دورية في اوربا، ولهم في انحاء العالم حوالي ٧٦٠ صحيفة ومجلة ودورية، وقد فضحت مخططات الصهيونية بروتوكولات حكماء صهيون التي نشرت اخيرا وفيها من المخططات الصهيونية الخطيرة ما يهدد اخلاقيات الأمم والشعوب.

ومن المعروف ان اكبر صحف ومجلات العالم الغربي تقع تحت سيطرة اليهود وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ سيطرتهم على جريدة التايمز اللندنية سنة ١٧٨٨م، وهم الذين انشأوا جريدة الديلي تلغراف عام ١٨٥٠م، كما تمت سيطرتهم على الأوبزرفر، والصنداي تايمز والديلي اكسبرس، وغير ذلك.

هذه الماحة سريعة عن واقع الاعلام العالمي الذي يحيط بالاعلام العربي والاسلامي.

فعلينا أخذ الحيطة والحذر والتنبه وصياغة اعلامنا صياغة اسلامية مبنية على قواعد راسخة من الدين والخلق والفضيلة ، فالخير ـ ولله الحمد ـ لا يزال في هذه الأمة الى ان تقوم الساعة، ونحن لا ننكر وجود وسائل اعلامية هادفة في البلاد العربية والاسلامية تقوم بدور فعال في توجيه المجتمع الوجهة الصحيحة وتغرس في نفسه حب الخير والتحلي بالأخلاق الكريمة السامية، وفي هذا البلد (المملكة العربية السعودية) ـ ولله الحمد ـ مؤسسات اعلامية تقوم بدور بارز وجهد مشكور كما يوجد في بعض البلاد الاسلامية والعربية الأخرى مؤسسات هادفة بناءة، ولكننا نطمع في المزيد بل ونريد صياغة الاعلام في البلاد العربية والاسلامية صياغة جديدة مستمدة من ديننا الحنيف وتراثنا الأصيل وبيئتنا المحافظة الرائدة وان أهم ما نرجوه لوسائل اعلامنا في البلاد العربية خصوصاً والاسلامية عموما هو الأصالة والصدق والموضوعية والبعد عن الترهات والسمو بالنفس الى المعالي والترفع عن الصغائر

ومن سمات رجل الاعلام الناجح الصدق والموضوعية، والبعد عن السباب والشتائم وتبادل التهم وسوء الظن.

(ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء) كما في الحديث.

وهذا مبدأ اسلامي اعلامي هام، والاعلام موقف.

ولذا قالوا ان من اهم الأسس التي يقوم عليها الاعلام:

١ ـ الحقائق التي تدعمها الأرقام والاحصاءات.

٢ ـ التجرد من الذاتية والتحلي بالموضوعية في عرض الحقائق.

٣ ـ الصدق والأمانة في جمع البيانات من مصادرها الأصلية
٤ ـ التعبير الصادق عن الجهود التي يوجه اليها الاعلام.

هذه اسس عامة، اما خصائص الاعلام الاسلامي الذي يهمنا امره اكثر فهي كثيرة يمكن ان نقتبس بعض ما ذكره صاحب نظريات الاعلام الاسلامي ـ المبادىء والتطبيق ـ حيث قال:

١ ـ يعتبر كل افراد المجتمع الاسلامي قائمين بالاتصال، ومسئولين عن تبليغ الدعوة كل على حسب قدرته وعلمه، ومراقبة اي خروج أو انحراف عن القيم الاسلامية، وفي الوقت نفسه فلم ننف ضرورة وجود المتخصصين القائمين على امر الدعوة على بينة وعلم وبصيرة وتمكن وخبرة بأحوال الدعوة وملابساتها.
٢ ـ الاعلام الاسلامي اعلام هادف وموجه لتحقيق هدف واحد هو اعلاء كلمة الله. والمسلم في حالة يقظة كاملة في كل حركة أو كلمة أو موقف من اجل تحقيق ذلك الهدف.
٣ ـ الاعلام الاسلامي قائم على الحجة والاقناع، يستغل كافة الامكانات البيولوجية والنفسية والاجتماعية في الانسان من اجل استثارة كل قوى الخير داخل نفسه وتوجيهها للخير دائما.
٤ ـ تتسم الرسالة الاعلامية في الاسلام بالثبات حيث ان مصدرها الله رب العالمين الخبير بحقائق الأمور ومصالح العباد.
٥ ـ اعتمد الاعلام الاسلامي نظرية المثل والقدوة الحسنة، ومن خلال المتابعة والتربية المستمرة للصفوة استطاع ان يرتفع بهم الى مستوى التجسيد الحي للمبادىء الاسلامية ثم قدمهم الى الناس دليلا عمليا لاثبات ان الدعوة الاسلامية ليست احلاما ولا مثاليات لاتصلح للبشر

٦ ـ يعتمد الاعلام الاسلامي ومن سماته الأسلوب الموضوعي القائم على التحليل والوضوح واتخاذ كافة الوسائل التي تنمي ملكة التفكير لدى الانسان وذلك ايمان منه بأهمية العقل واحترام الانسان الذي يجب ان يتوجه اليه بالاقناع، لا ان يجر بواسطة الغرائز والعواطف والانفعالات والدعوة الى الجريمة بطريقة أو بأخرى بل بالموضوعية وطلب التأمل والتدبر واستعمال الفكر

ويؤكد هذا الدكتور منير حجاب بقوله: (وبالاضافة الى هذه الخصائص العامة فللنظرية الاسلامية رأي في كل قضية أو موقف على امتداد مجرى القناة الاعلامية من المرسل أو الداعية الى المستقبل).

وعلى ضوء ذلك كله يظهر لنا جليا دور الاعلام ورجل الاعلام في بناء مجتمعنا العربي المسلم وحضارته العريقة في ترسيخ القيم الكبرى والمبادىء النبيلة والمثل، والأهداف السامية في نفوس أفراد المجتمع، وبذلك نستطيع ان نحافظ على حضارتنا العظيمة على اسس متينة من الايمان والأخلاق الكريمة والتوجيه السليم والارشاد والتوعية والتثقيف، فأجيالنا الصاعدة امانة في اعناقنا فعلينا ان نغرس في نفوسهم اصول هذا الدين القويم حتى نستطيع ان ننشىء بذلك جيلا عربيا مسلما مسلحا بسلاح العقيدة التي لا تزعزعها التيارات المنحرفة، ولا الأفكار الضالة، ولا الأبواق المأجورة، ولا الشعارات الدخيلة ايا كانت، وان هذا التراث والحضارة الأصيلة التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا كانت ـ بلاشك ـ مبنية على هذه الأسس، وهذه القيم والمبادىء وبذلك استحقوا ان يكونوا خير امة اخرجت للناس.

واذا كان التراث الحضاري لأية امة يشمل القيم والعادات والتقاليد والآداب العامة بالمجتمع الى جانب ما ذكرناه آنفا فاننا لا ننسى الدور الثقافي

والتربوي في تكوين البنية الاجتماعية وهو من أهم العناصر في بناء المجتمع العربي والاسلامي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا

لذا فان تحقيقها يتطلب من كافة القنوات الاعلامية جهودا مكثفة للتخطيط العلمي السليم في جميع مراحل اعدادها وتوفير كافة متطلبات نجاحها، والتعاون والتنسيق المثمرين بين القطاعات المختصة ورعاية نموها وترسيخها والمحافظة عليها ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[1].

---

١ ـ سورة التوبة الآية: ١٠٥

الترفيه في وسائل الاعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب

الدكتور منير ناصر*

في أعقاب تفجر ثورة الاتصالات في العالم في الربع الأخير من القرن العشرين، وبعد انتشار وسائل الاعلام الحديثة في شتى أرجاء الأرض وظهور «القرية العالمية»، برزت شكوك ومخاوف كثيرة بين شعوب المجتمعات النامية حول تأثير وسائل الاعلام المستوردة على ثقافاتها الوطنية وتقاليدها وتراثها.

وتستند هذه المخاوف الى حساسية هذه الدول من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية تجاه قوة وسائل الاعلام الأولية، وخاصة الأمريكية منها، وقدرتها على تغيير التركيبة الاجتماعية في العالم. وقد أثبت العديد من الدراسات والبحوث الغربية انه لا يوجد في العالم اليوم أي مجتمع يتمتع بالحصانة الكاملة ضد تأثير وسائل الاعلام الأمريكية.

ويقول الباحث الأمريكي وليام ريد ان وسائل الاعلام الأمريكية قد أصبحت فعلا قوة مؤثرة في النظام الاجتماعي العالمي. ويعزي الباحث أسباب هذه الظاهرة الى مدى انتشار وسائل الاعلام الأمريكية وخاصة تغلغلها في الدول النامية الى الحد الذي أصبحت معه هذه الدول معتمدة اعتمادا شبه كلي على الولايات المتحدة كمصدر للمواد الاعلامية والترفيهية.

(*) كلية الآداب. قسم الاعلام. جامعة الملك سعود بالرياض.

وبالاضافة الى ذلك فان الدول النامية اتخذت من المجتمع الصناعي الغربي الحديث نموذجا يحتذى بما فيه من وسائل اعلام تسير على نمط النموذج الأمريكي للصحافة والاذاعة والتلفزيون، والذي أصبح النموذج المسيطر في العالم أجمع[1]

وقد أيد عدد من الباحثين الغربيين استنتاجات الباحث ريد ومنهم جيرمي تنستل[2] وهيربرت شيلر[3] وانثوني سميث[4] وألن ويلز[5] وغيرهم. ويؤكد هؤلاء الباحثون هيمنة وسائل الاعلام الغربية على المجتمعات النامية التي أخذت تنظر الى هذه الهيمنة على أنها نوع من «الاستعمار الثقافي» الذي يعادل في مفهومه الاستعمار السياسي القديم والاستعمار الاقتصادي الذي ما زال الكثير من هذه المجتمعات يرزح تحت نيره. ويشكو مثقفو العالم الثالث بشكل عام من الهيمنة الكبيرة التي تمارسها وسائل الاعلام الغربية على ما يشاهده ويسمعه ويقرأه مواطنو الدول النامية، وهذا بالتالي يؤدي الى الانزلاق في مسار التبعية الثقافية للغرب وطمس معالم الثقافات الوطنية المحلية في دول العالم الثالث.

وتنعكس فعالية وسائل الاعلام الغربية على الشباب في الدول النامية، ومنها الدول العربية، في مدى تأثيرها على التقاليد والعادات والقيم المتوارثة من جيل الى آخر فالمواد الاعلامية المستوردة من الغرب، كالافلام

1- William Read, America's Mass Media Merchants, Baltimore: The John Hopkins University Press, 1976.

2- Jeremy Tunstall, The Media are American, N.Y.: Columbia, 1977.

3- Herbert Schiller, Mass Communication and American Empire, N.Y.: Kelley, 1969.

4- Anthony Smith, The Geopolitics of Information: How Western Culture Dominates the World, N.Y.: Oxford University Press, 1980.

5- Allan Wells, Picture Tube Imperialism: The Impact of U.S. Television on Latin America, N.Y.: Orbis Books, 1972.

التليفزيونية والاغاني والموسيقى، تنقل أنماط حياة جديدة وقيما وتقاليد غربية، وهذه بدورها تنعكس في عادات وسلوك الشباب والناشئة. والأمثلة على ذلك كثيرة منها تدهور الذوق الأدبي والفني وتقليعات الشعر والملابس الغربية وعدم احترام الكبار وعدم مراعاة أصول المخاطبة أو آداب المائدة والانصراف عن الاهتمام بالواجبات الدينية والعائلية. ويقول الباحث الأمريكي دي سولا بول ان هذه التناقضات تؤدي عادة الى التصادم بين القديم والحديث ومحاولة الجيل الجديد التمرد على القيم الموروثة لاثبات قدرته واستقلاليته ورغبته في التحرر من قيود وسيطرة الأسرة[1]

وتتحمل وسائل الاعلام في الوطن العربي مسئولية كبيرة في هذه الظاهرة لأنها أسهمت في ايجادها بطريقة غير مباشرة، فالمواد الترفيهية والفنية التي تقدمها هذه الوسائل من مجلات وأفلام وبرامج تلفزيونية وأغان غربية تؤثر في انماط حياة الشباب وسلوكهم وتفتح أذهانهم على قيم وأفكار جديدة يحاولون تقليدها في حياتهم اليومية. وتقع وسائل الاعلام العربية، كغيرها من وسائل الاعلام في العالم الثالث، تحت تأثير وسائل الاعلام الغربية لان نسبة كبيرة من المواد التي تعرضها على الجمهور مستوردة من الخارج.

ومن الدراسات الهامة التي أظهرت مدى اعتماد الدول النامية على البرامج التلفزيونية المستوردة من الغرب دراسة أجريت في جامعة ثامبر الفنلندية في عام ١٩٧٤م، وقد أظهرت هذه الدراسة ان الولايات المتحدة وحدها تصدر الى العالم ما بين ١٠٠,٠٠٠ ـ ٢٠٠,٠٠٠ ساعة من البرامج التلفزيونية كل عام.

1- Ithiel de Sola Pool, "Direct Broadcast Satellites and the Integrity of National Cultures. Chapter in National Sovereignty and International Communication, edited by Kaarle Nordenstreng and Herbert Schiller, New Jersey, Ablex, 1979.

ويبلغ نصيب دول أمريكا اللاتينية منها حوالي ثلث هذا العدد والثلث الآخر يذهب الى دول الشرق الأقصى وشرقي آسيا والبقية الى دول أوروبا الغربية.

وأظهرت الدراسة كذلك ان نسبة البرامج التلفزيونية التي تستوردها بلدان الشرق الأوسط تصل الى أكثر من ٥٠ بالمائة من البرامج المعروضة ومن بين الدول العربية التي غطتها الدراسة في عام ١٩٧٤م دولة الكويت التي كانت تستورد آنذاك ٥٦ بالمائة من برامجها التلفزيونية، والعراق ٥٢ بالمائة، ولبنان ٤٠ بالمائة، والمملكة العربية السعودية ٣١ بالمائة، وجمهورية مصر العربية ٤١ بالمائة، وجمهورية اليمن الشعبية ٥٧ بالمائة، وامارة دبي ٧٢ بالمائة[1]

ومن المتوقع ان تكون بعض هذه النسب قد انخفضت خلال السنوات العشر الماضية نظرا لأن بعض الدول العربية قد أخذت في زيادة انتاجها المحلي من البرامج التلفزيونية مع تزايد توافر الخبرات والكفاءات الوطنية والحد من المواد الأجنبية المستوردة بضغط من الفئات الوطنية والدينية في الداخل. وفي الوقت ذاته من الجائز ان تكون هذه النسب قد ارتفعت في البلاد العربية الأخرى تحت ضغط مطالب الجمهور بزيادة ساعات الارسال او بسبب منافسة برامج الدول المجاورة او توسيع قنوات الارسال. وأحدث مثال على ذلك ما حصل في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٣م عندما افتتحت قناتها التلفزيونية الثانية الموجهة للجمهور الأجنبي في البلاد والتي قد تبلغ البرامج المستوردة فيها نسبة مرتفعة.

1- K. Nordenstreng and T. Varis, Television Traffic: A One-Way Street? UNESCO, Paris (Reports and Papers on Mass Communications, No. 70).

وفي دراسة اجرتها منظمة اليونسكو عام ١٩٧٢ عن نسبة الأفلام السينمائية الأجنبية التي تستوردها بلاد العالم اتضح ان بلدان الشرق الأوسط استوردت من الدول الغربية ما نسبته ٦٦ بالمائة من مجموع الافلام التي عرضتها في أسواقها وبلغت نسبة الأفلام الأمريكية المستوردة ٣٨ بالمائة[1].

دور الترفيه في وسائل الاعلام:

لقد أصبح الترفيه من الضروريات الحيوية التي تساعد على بناء شخصية وتقدم الانسان المعاصر فقد اثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية ان الانسان بحاجة الى الانتعاش والتسلية والترويح من خلال برامج ترفيهية تجدد نشاطه وتبعث فيه المرح والاسترخاء.

ومن فوائد الترويح للانسان انه يبعد ذهنه عن ضغوط المجتمع الحديث ومشاكل الحياة اليومية والمنافسة في العمل والمشاكل العائلية وتخصص وسائل الاعلام العديد من المواد والبرامج التي تهدف الى الترفيه عن أفراد الجمهور.

فهناك من المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية والمجلات المصورة والمقالات الساخرة والكاريكاتير الصحفي وغير ذلك من الأمور التي تلعب دورا هاما في الترويح عن الناس وتهيء لهم جوا من الهروب العاطفي والعيش في الخيال بعيدا عن دنيا الواقع.

وقد هيأت الحياة المعاصرة متسعا من الوقت يقضيه الناس في الترويح عن أنفسهم في مجالات عديدة بعيداً عن جو العمل، فهناك من يقضون أوقات فراغهم في أنشطة جسدية كممارسة أنواع الرياضة المختلفة والهوايات

---

1 World Communications, UNESCO, 1975.

الممتعة والمفيدة. وهناك من يقضون أوقات فراغهم في انشطة ذهنية كالمطالعة او مشاهدة التلفزيون او الاستماع الى الراديو. والأنشطة من النوع الأول تقوى الجسم وتكسبه صحة وعافية، والأنشطة من النوع الثاني تغذي العقل وتشحن العاطفة بالحيوية والانتعاش، وكلا النوعين من الأنشطة ضروري لسعادة الانسان. وانواع الترفيه التي تقدمها وسائل الاعلام لها أهمية خاصة، والانسان يختار من بينها ما يلائم ذوقه وما تعود عليه من مواد ترفيهية، ويعتمد هذا الاختيار على الحالة النفسية والعاطفية والذهنية للشخص ووقت الفراغ المتوفر لديه. ووقت الفراغ هو من المتطلبات الأساسية للاستمتاع بالفنون الترفيهية المختلفة.

وكما يقول العالم النفسي ب ف. سكنر فان وقت الفراغ هو متطلب سابق لازدهار الفنون. فالفنان يحتاج للفراغ لخلق فنه والجمهور يحتاج الى الوقت للاستمتاع بهذا الفن. وبناء على أن الانبثاق من ضرورة العمل لسد الحاجات الطبيعية للانسان فان الفن يصبح من الكماليات الغالية الثمن.

وفي اعقاب الثورة الصناعية في الغرب أخذت ساعات العمل في التقلص ووجد الناس مزيدا من وقت الفراغ يقضونه في الترفيه وتولت آلات الأعمال الثقيلة وخففت أعباء العمل المرهق عن كاهل الانسان وانخفضت ساعات العمل الاسبوعية بشكل كبير واليوم أصبح المعدل الاسبوعي للعمل في المجتمعات الغربية حوالي ٤٠ ساعة وانتقل هذا المعدل الى الدول العربية خاصة في أعمال الدوائر الحكومية والشركات والمدارس والجامعات،وفي دراسة أجريت في الولايات المتحدة وجد ان عدد ساعات الفراغ التي يقضيها العامل في السنة تبلغ ٢٧٥ ساعة ولا يدخل في هذا المعدل الساعات التي تصرف في النوم والأكل والمواصلات. واتضح ان

أغلب هذه الساعات يصرف في الاستمتاع بالمواد الترفيهية التي تقدمها وسائل الاعلام. ومن التحديات التي تواجه المجتمعات الغربية اليوم كيفية ملء أوقات الفراغ للشباب بأشياء ممتعة ومفيدة[1]

واذا القينا نظرة سريعة على ما تقدمه وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما، نجد ان غالبيته تهدف الى ترفيه الجمهور وتسليته فاذا نظرنا مثلا الى الصحف والمجلات نجد انها تقدم مادة ترفيهية مسلية الى جانب الاخبار والمقالات والتحليلات الجادة. حتى الاخراج الصحفي واستعمال الألوان والصور والكاريكاتير هدفها جعل الأخبار والمعلومات جذابة الشكل وممتعة وسهلة القراءة وفي أحيان كثيرة تدرج الأخبار الجدية الى جانب الأخبار الخفيفة المسلية للتشجيع على القراءة.

والتلفزيون بدون شك هو الوسيلة الاعلامية الوحيدة التي تمثل الصدارة في مجال الترفيه والتسلية فهو أولا وأخيرا وسيلة ترفيهية أكثر منه وسيلة لنقل الأخبار والمعلومات.

وقد أصبح التلفزيون اليوم من مستلزمات الحياة العصرية ويكاد لا يخلو منه بيت في مدن العالم العربي. وقد أصبحت مشاهدة التلفزيون ممارسة يومية تشغل فراغ الصغار والشباب والكبار على حد سواء، ولعل الدافع لذلك هو رغبة الناس في الترويح والتسلية ونسيان مشاغل الحياة اليومية. وفي الوطن العربي لعب الراديو دورا هاما في الترفيه عن المستمعين خلال الخمسينيات والستينيات من خلال المسلسلات الاذاعية وبرامج المنوعات والمسابقات والموسيقى والغناء. وانحسر الدور الترفيهي للراديو مع دخول التلفزيون الى كثير من البلاد العربية وبعده ظهرت أجهزة الفيديو التي شدت أعدادا كبيرة من الناس. ولكن الضربة القاصمة للراديو جاءت مع

1- Heibert Ungurait Bohn, Mass Media III, N.Y.: Longman, 1983.

ظهور أشرطة الكاسيت وآلات التسجيل الصغيرة. فقد أصبحت البرامج والأغاني المسجلة تباع في الأسواق ويستمع اليها الناس حسب الوقت الذي يختارونه.

وقد أدت هذه الأسباب مجتمعة الى انخفاض جمهور الاذاعات العربية بشكل ملموس وخاصة بين الشباب الذين أصبح العديد منهم يقضون فراغهم في الاستماع الى الأغاني الغربية المسجلة على أشرطة الكاسيت المتوافرة بغزارة في الأسواق العربية

ويعتبر التلفزيون في المجتمعات الغربية وسيلة ترفيهيه يحدد أذواق الجماهير محتواها الفني، فهو وسيلة للترفيه الذي يساعد الجمهور على الهرب من واقعه، وفي المجتمع الأمريكي مثلا يحدد جمهور التلفزيون البرامج التي يحبها من خلال أجهزة تسجيل خاصة وشركات استطلاع الرأي. ولما كانت شركات التلفزيون الأمريكية هي شركات تجارية هدفها الربح واكتساب اكبر عدد من المشاهدين والمعلنين، فهي تعطي للجمهور البرامج التي تروق له ويطلبها باستمرار بغض النظر عن مستوى هذه البرامج الفني، أو قيمتها الاعلامية، وهي تقدم للجمهور الحد الأدنى من الذوق الفني من برامج العنف والجنس حتى تضمن اقبال غالبية الناس على مشاهدتها وبذلك تزيد من قيمة الاعلانات التجارية التي تظهر خلال هذه البرامج.

أما في المجتمعات العربية فأمر التلفزيون يختلف تماما، فالتلفزيون يعتبر اداة للتوجيه اكثر منه أداة للترفيه، فمحطات التلفزيون ملك للدولة وتستعمل محتويات البرامج فيها لبث المعلومات والتوجيهات عن برامج التنمية وانجازات الدولة، وتعبئة الجماهير والترفيه الموجه الى غير ذلك من المواد التي تضطر المشاهد العربي الى اللجوء الى الأفلام الأجنبية

والبرامج التلفزيونية المستوردة او اشرطة الفيديو المهربة، وتعكس الأفلام الأجنبية المستوردة عادة قيم وتقاليد المجتمع الذي ينتجها، فالأفلام الأمريكية التي تعرض على شاشات التلفزيون او دور السينما في الوطن العربي تصور التغيرات الاجتماعية السريعة في المجتمع الأمريكي وقد استغلت هذه الأفلام القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الأمريكي ، وركزت على المواضيع التي تشد الشباب والمراهقين، وقد اثبتت الدراسات ان ثلثي مشاهدي الأفلام الأمريكية في الولايات المتحدة هم من الشباب دون سن الثلاثين[1]، وقد تحررت صناعة السينما الأمريكية من الكثير من القيود والقيم الأخلاقية التي كانت تضبط انتاجها في السابق واتجهت الى اخراج العديد من الأفلام الصريحة والجريئة خاصة في مجالات العنف والجنس والرعب، وظهرت خلال السبعينيات موجة من الأفلام الأمريكية المثيرة التي تعتمد على الكوارث والرعب وغزو الفضاء وهي المواضيع التي تستهوي الشباب والمراهقين الذين يشكلون غالبية الزبائن لسوق الفيلم الأمريكي، ويقول علماء النفس ان اقبال الشباب الأمريكي على مثل هذا النوع من الأفلام مرجعه رغبة هؤلاء الشباب في الهروب من واقعهم البائس وعزلتهم عن المجتمع نتيجة تراجع القيم التقليدية وانحلال روابط الأسرة في المجتمع الأمريكي، وقد اصبح هؤلاء الشباب يفضلون الأفلام المبنية على الرعب والاباحية والعنف وقد استجابت صناعة السينما لهذه الرغبات بسيل من افلام الجنس والجريمة وعصابات الدراجات النارية، وقد ساعد على انتشار مثل هذا النوع من الأفلام تخفيف القيود التي كانت تفرضها الحكومة الأمريكية على شركات انتاج الأفلام.

---

1 ـ Heibert Ungurait, Bohn Mass Media III, N.Y.: Longman.

تأثير الترفيه الاعلامي على سلوك الشباب:

ان ما يشاهده الشباب العربي على شاشات السينما والتلفزيون واشرطة الفيديو وما يقرأونه في الصحف والمجلات العربية والأجنبية ينعكس على واقعهم الحياتي والاجتماعي ويؤثر في سلوكهم وتصرفاتهم.فهم عرضة لسيل من الأفلام والبرامج والصور المستوردة التي تعكس تقاليد وقيم المجتمعات الغربية، وظهرت بين شباب الوطن العربي تسريحات الشعر الطويل وتقليد مغني «الديسكو» و «الروك اندرول»، في لباسهم الضيق والكعب العالي، والاحتفاظ بصور ممثلات السينما ذوات الأجسام الرشيقة، والفساتين القصيرة، الى غير ذلك من التقاليد والصراعات التي تظهرو تختفي ثم تعود لتظهر ثانية في المجتمعات الغربية.

وأصبحت الصور والأفكار التي تنقلها هذه الأفلام مثالا يحتذى به بين الكثير من شباب الوطن العربي، وأصبح هذا الشباب عرضة لغزو مركز من ثقافة الجينز والكوكاكولا والهامبرغر وجون ترافولتا.

ولا تعطي وسائل الاعلام المطبوعة كالصحف والمجلات مساحات كبيرة للمواد الترفيهية لأنها تركز في الغالب على نقل الأخبار والمعلومات والتحليلات والصور، ولعل اشهر زوايا الترفيه في الصحف والمجلات العالمية هي زاوية الكلمات المتقاطعة التي تساعد القراء على قتل اوقات الفراغ، وقد طورت الصحافة الأمريكية نوعا جديدا من الرسومات المسلسلة التي تروي القصص والمغامرات على حلقات وقد انتقلت هذه الظاهرة الى الصحافة الأوربية ومنها الى صحف ومجلات العالم الثالث واصبحت من وسائل الترفيه المحببة لدى الشباب، اما مواد الترفيه في المجلات الغربية فتتركز بشكل خاص على نشر صور النساء شبه العاريات في زوايا الأزياء الصيفية او اخبار نجوم السينما والتلفزيون، وقد اكتشفت

هذه المجلات ان الشباب والمراهقين يقبلون بشكل كبير على شراء هذه المجلات لوجود مثل هذه الصور فيها

وقد دفع ذلك الى ظهور مجلات متخصصة في مثل هذه الأمور خاصة المجلات المتعلقة بأمور المرأة والجنس كمجلة (بلاي بوي) الأمريكية الشهيرة.

ونلاحظ في الصحافة العربية ان مواد الترفيه تنحصر في زوايا التسلية والألعاب الخفيفة التي تفرد لها عادة صفحات قليلة في نهاية المجلة، ومعظم مواد هذه الصفحات يكون في الغالب منقولا عن مجلات اجنبية او تشترى من وكالات غربية متخصصة وتركز المجلات العربية وبشكل خاص المجلات المهاجرة التي تصدر في لندن وباريس على اخبار وصور الأزياء والتقليعات الغربية واخبار نجوم المجتمع والسينما والفتيات الجميلات وتستهوي مثل هذه المواد الشباب العربي بوجه عام وتجعله يقبل على شراء هذه المجلات بنهم.

ولعل الصفحات الرياضية في الصحف والمجلات العربية هي الأكثر شعبية بين الشباب العربي، وكثير من الشباب لا يقرأ في الصحف سوى الصفحات الرياضية ونادرا ما يلقون نظرة سريعة على عناوين الأخبار السياسية أو الاقتصادية او الثقافية مما حدا بالكثير من المعلقين على أعمدة الصحف العربية باتهام مثل هؤلاء الشباب بالضحالة في الثقافة والمعلومات العامة.

ولم تظهر الدراسات الاعلامية في الغرب حتى اليوم علاقة سببية مباشرة بين ماتعرضه وسائل الاعلام وبين التغير الاجتماعي أو الثقافي من حيث التأثير على القيم والتقاليد والعادات السائدة في المجتمع، ولكن هناك اتفاقاً عاماً بين الدارسين لظاهرة التغير الاجتماعي على أن الأخبار والمعلومات والبرامج التي تعرضها وسائل الاعلام وخاصة الترفيهية منها لها تأثير على

سلوك الناس وعاداتهم، واذا نظرنا الى المجتمعات الغربية في السنوات الثلاثين الأخيرة نلاحظ التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي حصلت منذ الحرب العالمية الثانية، وقد كان انتشار وتطور وسائل الاعلام الحديثة كالراديو والتلفزيون ملحظوين خلال هذه السنوات مما جعل الكثير من الدارسين يعتقدون بوجود علاقة مباشرة بين تطور وسائل الاعلام والتغير الاجتماعي الذي حصل في الغرب والدول النامية على حد سواء، ولوحظ ان وسائل الاعلام لم تكن سببا مباشرا في احداث التغير الاجتماعي ذاته ولكنها كانت احدى ادوات التغيير في المجتمع الى جانب القوى الفاعلة الأخرى، وقد اصبح تأثير وسائل الاعلام اليوم حقيقة واقعة في حياة الشعوب النامية، وهناك دور هام تلعبه هذه الوسائل في تحديد جدول الاهتمامات في حياة الناس، فالصحف والاذاعات ومحطات التلفزيون تحدد لنا يوميا المواضيع الهامة التي يجب ان نفكر بها ونتخذ القرارات بشأنها.

ولا يتوقف ذلك على القرارات السياسية او الاقتصادية فحسب بل على الشئون الصغيرة في حياتنا كنوع السيارة التي نشتريها ونوع الصابون الذي نستعمله ونوع الملابس التي نرتديها.

ويقول الباحث الاجتماعي جورج فوستر ان القوة الفاعلة في التغير الثقافي لأية أمة هي الاقتراض من الثقافات الأخرى، بمعنى ان المجتمعات التي لها اتصالات مستمرة مع المجتمعات الأخرى تكون عرضة للتغير الاجتماعي المتواصل، فكلما ازداد تعرض الناس لأشياء ومعلومات جديدة من الخارج فان احتمالات تقلبهم لأنماط حياتية جديدة سوف تزداد، ويقول فوستر ان عملية التغير الثقافي في المجتمع تمر خلال سلسلة من مراحل الاحتكاك المباشر مع الثقافات الأخرى وفي المرحلة الأولى من الاحتكاك يقاوم الناس اية تغييرات تطرح من الخارج باستثناء ما يجدونه مناسبا من السلع الاستهلاكية التي تسهل حياتهم كالسيارات والثلاجات والمكيفات

وغيرها، وفي المراحل التالية تزداد نسبة التقبل للأفكار الحديثة وأنماط الحياة المستوردة من الخارج، خاصة بين أوساط الناشئة والشباب، وهذا بالتالي يؤدي الى رفض الشباب لكثير من عادات وقيم المجتمع التقليدية ويقل احترامهم لتوجيهات الأكبر منهم سنا، وخلال هذه المرحلة يندفع الشباب لتقليد الثقافة الأجنبية ويسعون وراء انماط حياة جديدة وتقليعات غربية ويبتعدون عما يمت الى تراثهم وحضارتهم التقليدية بشيء، ويقول فوستر ان هذه المرحلة تليها مرحلة من خيبة الأمل حين يدرك الشباب ان مجتمعاتهم لا تستطيع ان توفر لهم مشاركة كاملة في نمط الحياة المتوفرة في الدول الغربية وينتج عن ذلك شعور بالنقمة وعدم الاستقرار بين الشباب[1]

واليوم تحاول المجتمعات النامية، ومنها الدول العربية، الاستفادة من التقنية المادية المستوردة من الغرب مع المحافظة على قيمها الروحية وتراثها التقليدي، وقد خلق ذلك نوعا من التوتر بين قوى التجديد وقوى المحافظة على الوضع القائم في هذه المجتمعات التي ما زالت تبحث عن نوع من التوازن يجمع بين فوائد المجتمع الاستهلاكي الغربي والتشبث بالتقاليد والقيم الموروثة، وكانت وسائل الاتصالات الحديثة كالتلفزيون والسينما من اهم العوامل التي ادت الى انتشار انماط الحياة الاستهلاكية بين الشباب العربي وقد ادى هذا الانتشار الى اضعاف التركيبة الاجتماعية في الوطن العربي وتفكك نسيج العلاقات الأسرية والقبلية

وقد ادى ذلك الى مزيد من الضغط على الحالة النفسية للشباب مما اضطرهم الى العزلة والانطواء وعدم الاهتمام بما يجري في بيئتهم الاجتماعية

---

1 = George Foster, Traditional Societies and Technological Change, N.Y.: Harper and Row, 1973.

ومن الملاحظ ان الدول النامية قفزت الى عصر التلفزيون والأقمار الصناعية رغم ارتفاع مستوى الفقر والأمية فيها، ويقول العالم الأمريكي دانيل ليرنر انه خلال السنوات الثلاثين الأخيرة قامت الدول النامية بدفع عجلة التاريخ بسرعة فائقة حتى تلحق بالدول الصناعية المتقدمة وذلك من خلال ما اسماه ليرنر (بالتحول النفسي الحضاري) ولاحظ ليرنر ان معظم الدول النامية مرت في ثلاث مراحل مختلفة كانت الأولى منها مرحلة (التوقعات المتصاعدة) الناتجة عن مشاهدة انماط الحياة الاستهلاكية في البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية المستوردة من الغرب، اما المرحلة الثانية فكانت مرحلة «الخيبة المتصاعدة»، التي تلت عدم قدرة شعوب المجتمعات النامية على الحصول على السلع الاستهلاكية ومستوى الحياة الغربية التي كانت تصلهم بواسطة وسائل الاعلام وكانت نتيجة ذلك ما اسماه ليرنر (مرحلة الانقلابات العسكرية) التي اعقبت الأنظمة السياسية التي لم تستطع الوفاء لمواطنيها بما وعدته بهم وسائل الاعلام، ويعتقد ليرنر ان توقعات دول العالم الثالث في الخمسينيات لم تصل الى الحد المطلوب من انتاج السلع الاستهلاكية المحلية ويعزي ذلك الى فشل تلك الدول في ربط المكافأة بالجهد المبذول واعتمادها في كثير من الحالات على شعبية زعماء هذه الدول والاسراف في استخدام وسائل الاعلام[1]

الغزو الثقافي للمجتمعات النامية:

لقد تعرضت وسائل الاعلام في المجتمعات الغربية لكثير من النقد في الآونة الأخيرة بسبب عرضها لمزيد من برامج العنف والجريمة واحتمال تأثير

1- Daniel Lerner, "Communication and Development: A Half Century Appraisal, edited by Daniel Lerner and Lyle Nelson. Honolulu: University Press of Hawaii, 1977.

مثل هذه البرامج على سلوك الناشئة والشباب ، وقد اجريت دراسات متعددة لمعرفة علاقة مشاهد العنف والجريمة في البرامج التلفزيونية بالسلوك الاجرامي في واقع الحياة، ولكن هذه الدراسات لم تصل الى نتيجة قاطعة، وقد اظهرت الدراسة التي اجرتها الحكومة الأمريكية في الفترة بين ١٩٦٩ - ١٩٧١م حول علاقة التلفزيون بالسلوك الاجتماعي ان مشاهد العنف في التلفزيون قد تثير العنف في سلوك بعض الناس تحت ظروف معينة[1] وعلى الرغم من عدم القطع في هذه الدراسة فقد استمر الناس في اعتقادهم ان ما يعرض في التلفزيون من مشاهد دموية عنيفة يشجع على انتشار العنف والجريمة في المجتمع الأمريكي.

وحقيقة الأمر ان كمية كبيرة من مشاهد العنف موجودة في برامج التلفزيون والأفلام التي تصدرها امريكا الى دول العالم الثالث ومنها الدول العربية، وقد حدا ذلك بالعديد من هذه الدول الى فرض قيود على استيراد مثل هذه البرامج والأفلام او عرضها على الجمهور وبعض دول العالم النامي تفرض نوعا من الرقابة المشددة على الأفلام الأجنبية المستوردة خاصة على مشاهد الجريمة والجنس حماية للمشاهدين من الأطفال والشباب.

كذلك تسعى الدول النامية الى حماية ثقافاتها الوطنية من الغزو الفكري والثقافي الأجنبي خاصة من الأفلام وبرامج التلفزيون الأمريكية التي تكتسح السوق العالمية وتغمرها بأفلام رخيصة الثمن لا تستطيع الدول النامية مقاومة اغراء شرائها.

ومن المؤسف حقا ان سيل الأفلام والبرامج الأمريكية مازال يتدفق على الدول النامية على الرغم من محاولات هذه الدول الحد من هذا السيل[2]

1- U.S. Office of the Surgeon General, Television and Social Behavior, Washington, D.C., 1971.

2- George Gerbner, editor, Mass Media Policies in Changing Cultures. N.Y.: Wiley, 1977.

وكان اول من نبه الى خطورة الغزو الثقافي الأمريكي الباحث الأمريكي هربرت شيلر الذي اتهم وسائل الاعلام الأمريكية بمحاولة فرض نوع من الاستعمار الثقافي على دول العالم النامي، وقد ركز شيلر في ابحاثه على مدى خطورة وسائل الاعلام الأمريكية على الثقافات الوطنية المميزة للمجتمعات النامية

ويقول شيلر ان تأثير وسائل الاعلام الأمريكية يؤدي الى «أمركة» الثقافات المحلية في الدول النامية عن طريق هيمنة الشركات الأمريكية الكبرى على السوق التجاري العالمي وعلى شبكة الأقمار الصناعية للاتصالات، وهاجم شيلر مبدأ «حرية تدفق المعلومات والتجارة» بين الأمم الذي تتبناه الولايات المتحدة والذي يسمح لها بالهيمنة على سوق الاتصالات العالمية وباحتكار السوق التجاري العالمي وفرض تكنولوجيا الاتصالات والسلع الأمريكية على الدول الفقيرة وما يتبع ذلك من اعتماد كامل على الولايات المتحدة في المعدات والبرامج والأفلام، ويقول شيلر ان الشركات الأمريكية العالمية ووسائل الاعلام الأمريكية هي جزء من نظام واحد يحاول فرض نوع من انماط الحياة على العالم مبدءها تشجيع امتلاك السلع الاستهلاكية للفرد، وقد نجحت الولايات المتحدة في نشر هذه الأنماط في جميع انحاء العالم بواسطة الاعلانات التجارية وشركات الاعلان الأمريكية الكبرى وبرامج التلفزيون والأفلام والموسيقى دون مراعاة لحاجات واهداف الدول النامية[1].

وقد ايد نظرية شيلر حول "الاستعمار الثقافي الأمريكي" عدة باحثين وعلى رأسهم الباحث البريطاني جيرمي تنستل الذي يقر بهيمنة وسائل

1- Herbert Schiller, Communication and Cultural Domination, N.Y.: Sharpe, 1976.

الاعلام الأنجلو ـ امريكية على وسائل الاعلام الدولية، ولكن تنستل لا يبدو متفائلا ازاء محاولات دول العالم النامي لحماية ثقافاتها المحلية من الغزو الثقافي الأجنبي فهو يقول ان اغلب الدول النامية ليست لها ثقافات قومية مميزة وتتنازعها انقسامات اقليمية وقبلية ولغوية.

وبالاضافة الى ذلك فهو يتهم النخبة الحاكمة في تلك الدول بتبني ثقافات عصرية بعيدة عن الثقافة التقليدية الأصيلة لبلادهم، ويقول تنستل ان بعض الدول النامية يحاول ايجاد نوع من التوازن بين الثقافات المستوردة والثقافة التقليدية للبلاد، وذلك عن طريق خلق هجين وطني كما هو الحال في صناعة السينما في كل من مصر والمكسيك اللتين تحاولان تقديم عناصر الثقافة المحلية في قالب انجلو ـ امريكي[1]

وفي دراسة اجراها الباحثان كاتز ووديل على البرامج الاذاعية والتلفزيونية في احدى عشرة دولة من دول العالم الثالث من بينها الجزائر اتضح ان هذه الدول قد ورثت النماذج الاعلامية عن القوى الاستعمارية التي كانت تحكم البلاد واستمرت في استخدامها دون ان تتساءل عن مدى صلاحيتها للبلاد أو لحياة الناس، ويقول الباحثان ان غالبية الموظفين العاملين في التلفزيون في هذه البلاد هم من ابناء الطبقة المثقفة التي تلقت تعليمها في الغرب والتي لا تعرف عن ثقافتها القومية الا النذر اليسير، وقد اتضح من دراسة كاتز ـ ووديل ان معدل البرامج المستوردة في هذه الدول يصل الى (٥٥٪) وغالبيتها من الولايات المتحدة الأمريكية

وقد اثارت هذه الاحصائية مخاوف العديد من الدول النامية التي اخذت في تحديد كمية ونوعية المواد التلفزيونية الملونة بهدف حماية ذاتيتها الثقافية[2]

---

1 Jeremy Tunstall, Op. cit.

2- Elihu Katz and George Wedell, Broadcasting in the Third World: A Promise and Performance. Cambridge: Harvard University Press, 1977.

ويقول كاتز ان مخططي السياسات الاعلامية في العديد من دول العالم النامي بدأوا في تغيير نظرتهم الى دور الترفيه في عملية التنمية، فقد اخذت هذه الدول في الاهتمام بدور وسائل الاعلام الترفيهي الى جانب دورها في نقل المعلومات والتأثير على الرأي العام، وفي السابق كانت هذه الدول تنظر الى البرامج الترفيهية على انها برامج محايدة وسطحية وهدفها المباشر الالهاء والتنفيس عن الجمهور المتعب، وهناك ادراك اليوم في العديد من الدول النامية ان الترفيه ليس محايدا ولكنه قوة فاعلة في نقل القيم والأفكار والمعلومات كذلك فقد عمدت هذه الدول الى استخدام الاذاعة والتلفزيون والسينما لنشر القيم الاصيلة من خلال البرامج التي تنتج محليا، وفي كثير من الأحيان تكون هذه البرامج على شكل مسلسلات وطنية تروي قصصا مأخوذة من التراث الشعبي والتاريخ الوطني للأمة، وقد اكتشفت دول امريكا اللاتينية ان المسلسلات التلفزيونية المعروفة باسم "تلينوفيلاز" قد فاقت شعبيتها المسلسلات البوليسية الأمريكية لأنها تنبع من البيئة المحلية وتمثل اشخاصا واحداثا بوسع المواطن البسيط ان يتفاعل معها ويفهمها[1].

توصيات «لجنة مكبرايد»:

من أهم الدراسات التي اجريت حول مشكلات الاتصال في العالم التقرير الذي اعدته "لجنة مكبرايد" تحت اشراف وتمويل منظمة اليونسكو، وقد ترأس هذه اللجنة شين مكبرايد الايرلندي الجنسية والحائز على جائزة نوبل للسلام، وكان من بين اعضاء اللجنة الدكتور مصطفى المعمودي من تونس والدكتور جمال العطيفي من مصر

1- Elihu Katz, "Cultural Continuity and Change," in Communication Policy and National Development, edited by Mejed Teheranian, et.al. Boston: Rutledge, 1977.

وقد ناقشت اللجنة في تقريرها مسئولية وسائل الاعلام في المحافظة على التراث والتقاليد واعتبرت هذه الوسائل ناقلة للتراث والثقافات وادوات مؤثرة لصقل الخبرات الثقافية للجمهور وخلق ثقافات جديدة للجيل الناشيء من الشباب، وقد ركزت اللجنة على دور وسائل الاعلام في ايصال الترفيه بأشكاله المختلفة الى الملايين من البشر على مستوى لم يسبق له مثيل، ولكن اللجنة لاحظت ان نسبة كبيرة من المواد الترفيهية التي تقدم للجمهور هي مواد مبتذلة وتافهة وتبعث على الملل بدلا من اثارة الخيال والابداع وحذرت اللجنة من اخطار الغزو الثقافي الذي يأخذ شكل التبعية لأنماط الحياة والقيم الغربية المستوردة من الخارج والتي تهدد الذاتية الثقافية للدول النامية، وطالبت اللجنة دول العالم الثالث بصد مثل هذا الغزو الثقافي والمحافظة على التراث والتقاليد والقيم الأصيلة، ولكنها حذرت من التراجع الكامل داخل قوقعة التراث ونادت بنوع من الانفتاح على الثقافات الأخرى وتبادل الخبرات الانسانية معها، وطالبت ان يكون هذا التبادل على قدم المساواة والاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة، فاثراء الثقافات يتم بالتفاعل بينها مع المحافظة على الصفات المحلية التي تميزها عن الثقافات الأخرى والتخلص من كل ما هو تافه أو مبتذل[1]

كما نبهت "لجنة مكبرايد" الى اهمية وسائل الاتصال التقليدية في المحافظة على الثقافات المحلية وفي التأثير على الناشئة والشباب، وقد اظهرت التجارب ان الاتصالات التقليدية في المجتمعات الريفية تلعب دوراً هاما في إحداث التغيير الاجتماعي خاصة اذا استعملت هذه الوسائل بأسلوب ذكي للاقناع.

1- Many Voices, One World, The International Commission for the Study of Communication Problems. N.Y.: UNESCO, 1980.

وتلعب اشكال الفنون الشعبية المختلفة كالأغاني الشعبية والرقص الجماعي والقصص والتمثيل دورا بارزا في محاربة بعض التقاليد البالية كالخرافات والسحر والآفات الاجتماعية وفي دعم الحملات العلمية لتنوير عامة الشعب بالأساليب الحديثة للعناية بالصحة والأسرة والتغذية والزراعة، وهناك العديد من دول العالم النامي التي نجحت في استخدام وسائل الاعلام الحديثة كالتلفزيون والاذاعة الى جانب وسائل الاعلام التقليدية كما حصل في تجربة الهند، ونبهت لجنة مكبرايد أيضاً الى أن التحدي الرئيسي الذي يواجه صانعي السياسات الاعلامية ورجال الاعلام في الدول النامية هو ايجاد الطريقة التي تحفظ التوازن بين استخدام وسائل الاعلام التقليدية والحديثة دون طمس انماط الحياة التقليدية أو اعاقة التقدم نحو التحديث.

وقد اصدرت لجنة مكبرايد توصياتها حول مشكلات الاتصال الدولي عام ١٩٨٠م وبلغ عددها ٨٢ توصية، ومن بين التوصيات التي اقرتها اللجنة ضرورة توافر القدرات الوطنية على انتاج المواد الاذاعية لتلافي الاعتماد على المصادر الخارجية[١].

كما أوصت بأن يحظى الاستخدام التربوي والاعلامي لوسائل الاتصال بنفس الأولوية التي يحظى بها الاستخدام الترفيهي لها. وفي الوقت ذاته أوصت اللجنة بإعداد النشء والشباب للاطلاع بأنشطة إعلامية لتعريفهم بأشكال وأوجه استخدام وسائل الاتصال مثل قراءة الصحف وتقييم البرامج الاذاعية والتلفزيونية[٢] ومن بين هذه الأنشطة ايضا مساندة الأنشطة التعليمية بواسطة الأنشطة الترفيهية والاعلامية كالمكتبات المتنقلة والأشرطة المسجلة والأفلام والبرامج التربوية عبر الأثير[٣].

---

1 Ibid., Article 9.
2 Ibid, Article 15.
3 Ibid, Article 16.

وحول موضوع دعم الذاتية الثقافية أوصت اللجنة بوضع سياسات ثقافية تؤكد الذاتية الثقافية والقدرة الابداعية واشراك وسائل الاعلام في هذه المهام وتنمية الثقافة القومية وفي الوقت نفسه تشجيع الالمام بالثقافات الأخرى. وقد أضاف رئيس اللجنة شين مكبرايد ملاحظة شخصية الى هذه التوصية بقوله انه ينبغي ان تراعي السياسات الاعلامية المعتقدات والتقاليد الدينية وذلك نظرا للأهمية الثقافية للقيم الروحية بغية احياء القيم الأخلاقية[1]

وأكدت اللجنة على ضرورة افساح الفرصة للمثقفين والفنانين وشتى الفئات الشعبية لحرية التعبير عن آرائهم وانتاجهم وإمكانية سماع أصواتهم عبر وسائل الاعلام[2]

ونبهت اللجنة الى ان القراء والمستمعين والمشاهدين يعاملون عادة على انهم متلقون سلبيون للمعلومات، وطالبت المسئولين عن وسائل الاعلام ان يشجعوا الجمهور على القيام بدور أكثر ايجابية في عملية الاتصال وذلك بتخصيص حيز أكبر في الصحف أو في وقت الارسال لآراء أفراد الجمهور أو الفئات الاجتماعية المختلفة[3]

التوصيات:

ان الكثير من توصيات "لجنة مكبرايد" تصلح ان تكون اساسا للدراسة والتنفيذ في وسائل الاعلام العربية خاصة فيما يتعلق بالتصدي لأخطار الغزو الثقافي الاجنبي والمحافظة على الذاتية الثقافية العربية الأصيلة، واعداد الشباب للاضطلاع بالأنشطة الاعلامية المختلفة ولابد

1 Ibid, Article 28.
2 Ibid, Article 29.
3 Ibid, Article 63.

ان نشير في هذا المجال الى ضرورة انشاء برامج متخصصة للشباب في الاذاعة والتلفزيون بالاضافة الى مجلات وصحف متخصصة في شئون الشباب وذلك لتنمية مواهبهم الفنية والأدبية والعلمية والثقافية عن طريق ابراز نشاطاتهم المختلفة.

اما بالنسبة للصحافة العربية فعليها تطوير صفحات الرياضة واضافة المواد الثقافية والترفيهية اليها بحيث تنمي لدى الشباب الرغبة في المزيد من المعرفة والاطلاع، كما تقع على الصحافة العربية مسئولية كبيرة في تشجيع الشباب على المساهمة في الرياضة الايجابية والمشاركة الفعلية بالجهد والعرق وبناء الاجسام السليمة والتخلي عن المشاهدة السلبية للمباريات والتعصب الأعمى لفريق ضد آخر، وتقبل الهزيمة بروح رياضية عالية.

ومن الأسباب التي تؤدي الى استهتار وسائل الاعلام العربية بأذواق الجمهور هو فرض المواد الاعلامية على الجمهور دون معرفة اهتمامات أو رغبات هذا الجمهور، فالقارىء والمستمع والمشاهد العربي في معظم البلاد العربية ما هو الا متلق سلبي للرسائل الاعلامية التي تطرح عليه، ومن المؤلم حقا ان وسائل الاعلام العربية فيها الكثير من الأمثلة على المسلسلات والبرامج التلفزيونية الهابطة التي تدل على استهتار بذوق وثقافة المشاهد العربي كما ان نظرة سريعة على اعمدة الصحف والمجلات العربية تظهر مدى اعتمادها على المواد الغربية المترجمة والمواد الثقافية الهابطة التي لا تمت الى الثقافة الأصيلة بصلة، وانه لمن المشين حقا ان بحوث المشاهدين والمستمعين مازالت تعتبر من الكماليات في البلاد العربية، وفي دراسة اجراها باحثان في معهد الصحافة في تونس حول واقع الاذاعة الصوتية في الوطن العربي، اتضح ان اهم ثغرة تميز انظمة الاتصال الاذاعي في البلاد العربية اليوم تتمحور حول الرؤية الضبابية لعنصر الجمهور ويقول

الباحثان ان برامج الأطفال والشباب والمرأة والمجتمع الريفي لا تحظى باهتمام خاص من قبل السياسات الاعلامية في مجال الاذاعة والتلفزيون في البلاد العربية ، واتهم الباحثان وسائل الاعلام العربية بالتمادي في تجاهل قيمة البحث العلمي المتخصص كعنصر اساسي ومكمل لبقية عناصر العمل الاذاعي والتلفزيوني، اذ بدونه لا تستطيع وضع البرامج الملائمة للجمهور في الوقت الملائم وفق متغيرات عديدة تحدد ظروف الاستماع المادية والنفسية، وطالب الباحثان بضرورة اشراك الانسان العربي في وسائل الاعلام بصورة اوسع وتمكينه من وسائل تعبير منتجة وذلك بمنحه فرصة التفاعل الثقافي مع محيطه المحلي والوطني دون انغلاقه على الحضارات الأخرى[1]

وهنا لا يسعنا الا ان نضم صوتنا الى "لجنة مكبرايد" والباحثين الآخرين في ضرورة اعطاء المزيد من الحريات للمثقفين والفنانين وخاصة الشباب في التعبير عن آرائهم ونشاطاتهم في وسائل الاعلام المختلفة، ولعله من المؤسف حقا ان جزءا ليس باليسير من مسئوليات وسائل الاعلام العربية تجاه الشباب تقع على عاتق المثقفين العرب الذين يرتبط معظمهم بثقافة الغرب وحضارته، وهذا يبعدهم عن المشاكل الاجتماعية والثقافية لأمتهم وعن المشاركة في حل ازمة الشباب العربي التي سروا بها انفسهم.

واذا نظرنا نظرة واسعة على العالم العربي اليوم نجد ان اعدادا كبيرة من المثقفين العرب تحتل مراكز هامة في وسائل الاعلام العربية، ومن اخطر الأدوار التي يقوم بها بعض هؤلاء المثقفين هو تحولهم الى ابواق للأنظمة العربية التي يعملون لها ويبررون اخطاءها، وهم بذلك يسهمون في حرمان الانسان العربي من المعلومات الأساسية المتعلقة ببلده وحياته ومشاكله

---

١ ـ عبدالقادر بن الشيخ ويوسف بن رمضان. واقع الاذاعة الصوتية في الوطن العربي الجزء الثالث. صحيفة الجزيرة. الرياض. ١١ نوفمبر ١٩٨٣م.

ولعل هذا الحصار الثقافي والتعتيم الاعلامي الذي يسود المنطقة العربية اليوم هو السبب في سلبية الجماهير العربية ، وخاصة الشباب العربي، وعدم مشاركتها في القضايا العامة التي تتعلق ببقاء الأمة العربية أو فَنائها[1].

---

١ ـ خالد الناصر ازمة الديمقراطية في الوطن العربي المستقبل العربي العدد (٥٥) سبتمبر ١٩٨٣م.

المراجـــع

1 Allan Wells, Picture Tube Imperialism: The Impact of U.S. Television on Latin America, N.Y.: Orbis Books, 1972.

2 Anthony Smith, The Geopolitics of Information: How Western Culture Dominates the World, N.Y.: Oxford University Press, 1980.

3 Daniel Lerner, "Communication and Development: A Half Century Appraisal, edited by Daniel Lerner and Lyle Nelson. Honolulu: University Press of Hawaii, 1977.

4 Elihu Katz, "Cultural Continuity and Change," in Communication Policy and National Development, edited by Mejed Teheranian, et. al. Boston: Rutledge, 1977.

5 Elihu Katz and George Wedell, Broadcasting in the Third World: A Promise and Performance. Cambridge: Harvard University Press, 1977.

6 George Foster, Traditional Societies and Technological Change, N.Y.: Harper and Row, 1973.

7 George Gerbner, editor, Mass Media Policies in Changing Cultures, N.Y.: Wiley, 1977.

8 - Herbert Schiller, Communication and Cultural Domination, N.Y.: Sharpe, 1976.

9 Herbert Schiller, Mass Communication and American Empire, N.Y.: Kelley, 1969.

10 Heibert Ungurait, Bonn Mass Media III, N.Y.: Longman, 1983.

11 Ibid, Articles 9, 15, 16, 28, 29, & 63.

12 Ithiel de Sola Pool, Direct Broadcast Satellites and the Integrity of National Cultures. Chapter in National Sovereignty and International Communication, edited by Kaarle Nordenstreng and Herbert Schiller, New Jersey, Ablex, 1979.

13 Jeremy Tunstall, The Media are American, N.Y.: Columbia, 1977.

14 K. Nordenstreng and T. Varis, Television Traffic: A One-Way Street? UNESCO, Paris (Reports and Papers on Mass Communications, No. 70).

15 Many Voices, One World, The International Commission for the Study of Communication Problems, N.Y.: UNESCO, 1980.
16 William Read, America's Mass Media Merchants, Baltimore: The John Hopkins University Press, 1976.
17 World Communications, UNESCO, 1975.
18 - U.S. Office of the Surgeon General, Television and Social Behavior, Washington, D.C., 1971.

موقف الاعلام من التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي

الدكتور إبراهيم إمام محمود(*)

لعل خير ما نبدأ به هذا البحث هو ايضاح مفهوم الاعلام وما نقصده بهذه الكلمة فالاعلام هو بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على اعداد كبيرة من الناس، يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وينتشرون في مناطق متفرقة. ويقصد بالرسائل الواقعية مجموعة الأخبار والمعلومات والتعليمات التي تدور حول الأحداث وتنشرها الصحف وتذيعها الاذاعة المسموعة والمرئية

اما الرسائل الخيالية فهي القصص والتمثيليات والروايات والأغاني وغيرها من المبتكرات الفنية التي قد ترتكن الى الواقع وتنسج منه صورة فنية أو قد تكون من نسج الخيال.

وحتى في الحالة الثانية لابد من ارتباط التعبير الاعلامي بواقع المجتمع وما فيه من اتجاهات ومبادىء ومعتقدات وقيم. لذلك يمكن القول بان الرسائل التي يبثها الاعلام ـ سواء كانت واقعية كالاخبار أو خيالية كالتمثيليات ـ انما تتخذ من القيم والمبادىء أسساً ومعايير تدور الموضوعات حولها.

---

* قسم الاعلام. كلية الدعوة وأصول الدين. الجامعة الاسلامية المدينة المنورة.

والاعلام هو في حقيقته قوة حضارية، أو عملية ثقافية تجري في بيئة معينة مؤثرة فيها ومتأثرة بها، وهناك تفاعل مستمر بين وسائل الاعلام والمجتمع، فهذه الوسائل لا تؤثر على المجتمع بنظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فحسب، بل ان هذه النظم تؤثر فيه أيضا، وتعتبر الاعلام منبثقا عن النظام العام ومتأثراً به ومؤثرا فيه.

فنحن لا نستطيع ان نفهم المجتمع الا بفحص أفكاره ومعتقداته ومبادئه، وتاريخه وفلسفته كما ان النظام الاعلامي هو حامل هذه الأفكار والمبادىء والقيم.

الاعلام وصراع القيم:

فمن المنطلق الأساسي الذي يدور حول حقيقة جوهرية وهي ان الاعلام يبث القيم في المجتمع يمكن لنا ان ندرس أثر هذا الاعلام في الشباب، خاصة ان هذا الاعلام يتصدى للحضارة الحديثة ويتأثر بها، ويحملها الى الشباب بصيغ مختلفة بعضها صحيح ونافع وبعضها ضار ومؤذٍ.

فاذا كانت القيم تبث أساسا عن طريق الأسرة والأبوين والاخوة والاصدقاء والرفاق والمدارس والمساجد ودور العبادة والجامعات والدعاة وغيرهم، فان الاعلام يروج لعملية تربية موازية لهذه المؤسسات. فاذا كانت مهمة المدارس هي تربية الذوق وترقية المدارك واعلاء الغرائز بالتضافر مع الأسر، فاننا قد نجد التليفزيون يهدم هذا الصرح ويعمل في اتجاه عكسي تماما.

فالحضارة الحديثة مثلا هي حضارة استهلاكية في مظاهرها الغربية التي أثرت في مجتمعاتنا العربية، وأصبح الاستهلاك سمة من سمات المعاصرة.

ويحث الاعلام دائما على كلمة التغيير، ويشجع الناس على التبديل. « تبديل سياراتهم وبيوتهم وشوارعهم وملابسهم وحتى أفكارهم الراسخة.

ويرى كثير من المربين وعلماء النفس ان البيئة الشاملة لها من الأهمية ما للفصل الدراسي من تأثير على الشباب، ولكن من الملاحظ ان الدور الذي تلعبه المدرسة أو الجامعة آخذ في الانحسار يوما بعد يوم في حين ان التليفزيون تزداد أهميته ويعمق أثره ويهدد التربية الايجابية بكثير من العوامل السلبية

ان الاعلام المتأثر بالحضارة الحديثة يحث على الاستهلاك كل يوم من خلال الاعلانات في الصحف والشوارع والاذاعات المسموعة والمرئية، فكيف نلوم شبابنا العربي اذا اتجهوا نحو المبالغة والتهويل وهي قيم تبث كل دقيقة عن طريق الاعلانات الكاذبة عن الحبوب المقوية والمشروبات التي تفتل عضلاتهم، والعقاقير التي تعالج الروماتيزم والسعال وآلام المعدة والأسنان في وقت واحد، فاذا اتينا الى مساحيق التجميل وجدنا ان وسائل الاعلام تجعل منها أسرارا رهيبة تكمن فيها أسباب النجاح في الحب والغرام والهيام، فضلا عن الكتب التي تعلمك اللغات الحية في ستة أيام بدون معلم!

وقد أوضحت دراسات أثر الاعلام على الشباب، ومدى أثر أفلام العصابات على المراهقين، ومدى خطرها الداهم على نفوس الشباب، وقد لخصت منظمة اليونسكو تلك الأبحاث في هذه العبارة: «ان أفلام العصابات هي السبب في العقد النفسية الخطيرة ولا يرجع ذلك الى انها تحبذ الجرائم فحسب وانما الى ما تورثه من اضطرابات اخلاقية تكمن وراء الجرائم المختلفة».

ويشير علماء النفس الى نوع من الجنون يطلق عليه جنون الخرافة عندما يصاب الشاب بصراع بين منظومتين من القيم، يشتق المنظومة الأولى من قيم أبطال الأفلام الخيالية وصراعات العصابات، وخرافات الروايات، ويشتق المنظومة الثانية من محيط بيئته العربية والاسلامية الواقعية في الأسرة والمدرسة والجامعة.

ان الشاب يصبح نهبا للصراعات النفسية بين قيم غربية أو شيوعية مادية يقدمها له الاعلام المستورد وبين قيم عربية واسلامية يقدمها له أهله ومدرسوه ورجال الدعوة الاسلامية من فوق منابر المساجد، وكثيرا ما تؤدي كثافة المشاهدة التليفزيونية أو التعرض للقراءات الصحفية الشاذة الى ان تتغلب منظومة القيم الأولى على المنظومة الثانية فتكون الطامة الكبرى اذ يحيا الشاب في عالم خرافي بقيم معادية لمجتمعه الذي يعيش فيه

التليفزيون والجريمة:

ويقول الطبيب الأمريكي ستيفن بانا وهو استاذ بجامعة كولومبيا ان انحراف الشباب يرجع أساساً الى اضطرابات عاطفية ونفسية ويستطرد قائلا: «اذا صح ان السجن هو جامعة الجريمة فان التليفزيون هو المدرسة الاعدادية لانحراف الشباب» ويرى انه من الضروري تقصي أثر الافلام على النشء وتشجيع بحوث العلماء في هذا المجال.

وقد عرضت احدى شبكات التليفزيون الأمريكي ن.ب.س. تمثيلية يداهم فيها الارهابيون ركاب احدى قطارات الأنفاق التي تجري تحت الأرض ويقتلون احد هؤلاء الركاب فاذا باحد الشباب المنحرفين يقتل مخبرا للشرطة في أحد قطارات الأنفاق بنفس الطريقة التي شاهدها على شاشات التليفزيون.

وقد ذبح السفاح الالماني هينريسن بوميرنيك اولى ضحاياه في احدى الحدائق، وكان قد خرج لتوه من دار السينما حيث شاهد فيلم «الوصايا العشر» للمخرج سيسيل دي ميل حيث رأى النساء اليهوديات يرقصن حول «العجل الذهبي» فقرر ان النساء هن أصل الشر في العالم وخرج لكي يذبح المرأة المسكينة عملا على تطهير العالم من مصدر الشر

وبعد ان شاهد السفاح الانجليزي جون جورج هو برنامجا تليفزيونيا عن الطقوس الدينية الوثنية التي كانت تتضمن شرب ماء القرابين البشرية، قال انه شعر بظمأ الى الدم فذهب حيث اصطاد أولى ضحاياه، وذبحه ثم امتص دمه مستخدما ماصة المياه الغازية أو ماسورة الشفط.

وقد أوقفت النيابة العامة في مصر اذاعة أحد المسلسلات عندما ارتكب شاب مجرم جريمة مطابقة تماما للجريمة المذاعة،كما قام بعض الشباب بمداهمة احدى المجلات على غرار ما شاهدوه على شاشة السينما بالمدافع الرشاشة.

وفي اسبانيا ظهر أن ٣٩٪ من الشباب المنحرفين قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام التي تشرح لهم تفاصيل ارتكاب الجريمة وطرق الاعتداء على الناس وأساليب الانحراف الخلقي ولاشك ان عمليات الخطف والسرقة والعنف التي تعرض على شاشة التليفزيون تؤثر تأثيراً مباشراً على نفسية الشاب وسلوكه.

الشباب والاعلام المستورد:

ان أجهزة الاعلام العربية وخاصة الاذاعة والتليفزيون تستورد الكثير من الأخبار والموضوعات والأفلام والمسلسلات من الحضارات المعادية لنا سواء من الغرب الأمريكي والأوربي أو الشرق الشيوعي الملحد وذلك

بحجة ان ساعات الارسال طويلة ولا توجد المواد الكافية لاذاعتها على الناس، وهذا عذر أقبح من ذنب لانه ليس هناك أية ضرورة للتفاخر بطول ساعات الارسال بحيث يسهر الشباب الى ساعات متأخرة، ولا يستطيع القيام مبكرا لأداء الصلاة والذهاب الى العمل أو المدرسة فضلا عما يتشربه الشباب من قيم منحرفة وأخلاقيات شاذة، ومبادىء معادية للمجتمع الذي يعيش فيه.

واذا كان الغرب الذي يؤمن بنظريات فرويد الجنسية في التنفيس عن الانفعالات المكبوتة، والعقد النفسية ـ على حد زعمه ـ يدعى ان هذه الأفلام الجنسية تؤدي الى التنفيس والاعلاء والتنقية للعقد والمواطن المكبوتة، فان هذا التفسير المنحرف مرفوض تماما في مجتمعنا العربي الاسلامي.

ان تأثير وسائل الاعلام على الشباب لا ريب فيه والشاب العربي يستخدم ما يستوعبه أثناء مشاهداته الترفيهية في التليفزيون وقراءاته في الصحف لتفسير تجارب الحياة الواقعية، وإعداد نفسه للمهام التي سوف يضطلع بها في حاضره ومستقبله. وقد تؤثر وسائل الاعلام في الحالة المزاجية للشاب فتؤدي به الى التشاؤم مثلا أو الاحساس بالضياع.

الاعلام الغربي والانسان الجماهيري:

وقد دهشت أيما دهشة عندما طالعت في بعض الصحف السعودية دراسات في الصفحات الأدبية حول الشعور بالغربة والضياع والتشاؤم والتعبير عن ذلك بالشعر تارة وبالرواية تارة أخرى والمسرحية تارة ثالثة.
ان هذا التنقل من الحضارة الغربية حين يصل الى تقليد المشاعر الخفية الناجمة عن المجتمع الصناعي الحديث يضر بشبابنا أبلغ الضرر فان نزعة

التشاؤم والشعور بالضياع والغربة من صفات المجتمعات المادية الغربية والشيوعية اما في عالمنا العربي والاسلامي فلا محل لهذه الانفعالات الشاذة اللهم الا اذا جاء ذلك تقليدا أعمى والعياذ بالله.

ان الاعلام في الغرب، وفي مناخ الحضارة الحديثة قد ادى الى تكوين الفرد العصري المنعزل الذي يشعر بالضياع في جمهور سلبي، لأن مقومات التماسك التي كان يسعد بها في الجماعات البسيطة المتمثلة في القرية أو القبيلة أو الناحية، بمشاعر سكانها المتكافلة الحميمة، قد تقوضت وتلاشت، وهكذا كان التقدم المعاصر الذي يتسم بالمادية قد احل المجتمع الجماهيري المتفكك محل الجماعات الأولية المترابطة، فبدلاً من الأسرة المتماسكة تجد عزلة وتنافراً، وبدلاً من الجيش الصغير الذي يعمل افراده بدافع من أنفسهم، تجد جيوشا جرارة قائمة على التجنيد الاجباري، بحيث تصبح مسألة الروح المعنوية مشكلة خطيرة، كما حلت المؤسسات الضخمة محل المتاجر الصغيرة التي تعرف اصحابها وتتعامل معهم معاملة انسانية

ويصف أدباء الغرب مجتمعاتهم بالانعزالية والوحدة والضياع لغياب التأثير الديني والروحي والأسري، فينظرون الى الفرد نظرة متشائمة، فقد اصبحت مهمة الانسان في مجتمعات الحضارة الغربية والشيوعية على السواء هي التكيف والامتثال والانصياع.

فاعلام الحضارة الحديثة يتجه الى الضغط وقولبة الرأي العام واجهزة الاعلام لا تعطي الا ما يريده المعلنون أو ما تريده الطبقة الحاكمة، وليست المنافسة بين الصحف والاذاعات والأفلام سوى منافسة ظاهرية تخفي وراءها نمطية فجة وسخيفة، وقد أصبح تشكيل الرأي العام صناعة تسمى صناعة الرأي وان كانت تتستر تحت اسماء مختلفة كالعلاقات الانسانية والعلاقات العامة وفن ادارة الأعمال وغيرها من الأسماء البراقة.

الاعلام والضياع:

وباختصار يشعر الفرد في المجتمع الغربي المعاصر والمجتمع الشيوعي ايضا انه كالريشة في مهب الريح تتلقفه الأيدي وتتلاعب به الاحتكارات التجارية والسياسية، حتى اصبح الاعلام نفسه صناعة شعارها «كل شيء يمكن ان يقال بشرط ان تقوله بطريقة تدر الربح على الهيئة الاعلامية». وفي المجتمعات التي تؤمن بالحتمية الاقتصادية يصبح الاعلام اداة في يد جماعة لا تؤمن بالخصومة، بل تعتبر الخصم احد شيئين:

إما أن يكون أمينا ومغفلا فلابد أن يعرف الحقيقة

وإما أن يكون ذكياً ومنحرفاً، فلابد س تقويمه واصلاحه، فمادامت الحقائق قد اتضحت فالخارج عليها مجرم أو مجنون، والمجرم امامه السجن أو الموت والمجنون امامه العلاج أو الاصلاح.

هذه هي مشاكل الحضارة الحديثة في الغرب والشرق وهي التي ادت الى الشعور بالضياع والغربة والقلق ولكن هل يصدق ذلك على مجتمعاتنا العربية التي مازالت الأسر فيها متماسكة، والتقاليد الراسخة والاعراف الاخلاقية ذات قوة ومتانة، فضلا عن اهم شيء وهو الوازع الديني الذي يجعل المؤمن في سكينة وطمأنينة فالشعور بالارتياح والسكينة والمودة والاستقرار هي اهم سمات المجتمعات المتدينة

أما انسان الحضارة الجماهيرية الأوربية والأمريكية فقد اصبح نمطا للانعزالية والنمطية والسطحية كما فقد الايجابية الأخلاقية، وصار الناس فرادى منعزلين وفرائس في ايدي المعلنين والاعلاميين، لاحول لهم ولا قوة امام الاعلام الجماهيري الضخم الضاغط الجارف بكل فنون التذليل والتلاعب والمكر والخداع.

آفة النقل من الحضارة الغربية:

وقد افرز هذا المجتمع فلسفة التشاؤم التي اعرب عنها الأديب الانجليزي اليوت في قصيدته المشهورة «الأرض الخراب» كما فعل الوجوديون نفس الشيء في مسرحيات سارتر وكامو. وخرج مسرح العبث وأدب العبث كما في مسرحيات بيكيت.

والعجيب حقا ان يسير اعلامنا على نفس الدرب وينقل هذه القصائد وتلك المسرحيات الى اللغة العربية وينشرها في الكتب والصحف والمجلات ويذيعها في الأندية والاذاعات، وكان المجتمع الصناعي الذي انتج ادبا متشائماً هو النموذج الذي ينبغي ان يحتذى دون تبصر أو تدبر أو تعقل.

ان الحضارة الحديثة لها وجهان: وجه يمكن ان نسميه بالمدنية وفيه يتمثل الجانب المادي من الحضارة، كالأبنية، وناطحات السحاب والقطارات، والسيارات، والطائرات، والصواريخ، والالكترونيات، والعقول الحاسبة، (الكمبيوتر) ووجه اخر يمكن ان نسميه بالثقافة وهو يمثل الجانب المعنوي وما ينطوي عليه من فكر ومبادىء وقيم وأخلاق وعادات وتقاليد، فاذا صح لنا ان ننقل العلوم والتكنولوجيا وكل اسباب المدنية، فلا يصح ـ بحال من الأحوال ـ أن نصبّ على رؤوس شبابِنا العربي انحرافات المجتمع الغربي، دون اي سبب سوى الكسل في الابتكار الفني والابداع الأدبي.

ولا يجوز ان يعيش الاعلام العربي عالة على الاعلام الغربي ينقل من فتات مائدته أخباراً ملوثة بالدعاية المسمومة، ومسرحيات متشائمة، وفنوناً منحرفة، وآدابا شاذة، باسم التحضر، وليس في ذلك ادنى مستويات التقدم والرقي.

الاعلام والوجودية:

إن الوجودية وأدب العبث وما ننقله عنهما ينفيان الألوهية، ويناديان بعبادة الذات، فالوجودية تدعو الانسان الى ان يستمتع بوجوده كل الاستمتاع ويطلق لحريته العنان، فيحقق لنفسه اكبر نصيب من المتع والملذات.

إن الانسان الوجودي يطلق العنان لرغباته وشهواته بحيث يفعل ما يشاء ولا يبالي بالدين او العرف او التقاليد، وانما يتحلل من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد وقوانين وعادات وتقاليد ويطلق نفسه على هواها تهيم في كل وادٍ.

وقد أدى ذلك الى ظهور جماعات «الهيبيز والخنافس ودعاة العري» بين الشباب واطلاق الشعر دون نظافة والمبيت في الشوارع والطرقات، والاختلاط بين الجنسين على وتيرة قطعان الحيوانات.

فلماذا ننقل فلسفات الغرب في إعلامنا، وهل نرضى ان يكون شبابنا مثل شباب اوربا وامريكا مصابا..كما اكد الرئيس كنيدي ان الشباب في امريكا اصبح لا يصلح منه للقتال إلا نسبة ضئيلة للغاية، لانهم يذهبون ضحية المسكرات والمخدرات حتى وهم في سن المراهقة، اذ يدخنون المارجوانا ويشربون الخمور ويختلطون اختلاطاً محرماً كان من نتيجته تزايد الأبناء غير الشرعيين يوما بعد يوم.

وداعاً أيها الضمير !!

أما في أمريكا فان نزعة البرجماتية كما عرفها جيمس وديوي هي نزعة منحرفة عن الدين وتقول ان الكون موجود بذاته وليس مخلوقاً، وهو جزء

من الطبيعة وهو نتيجة لعمليات مستمرة فيها على نحو ما قال دارون في نظريته عن النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي للأحياء.

وفي هذه المذاهب يزول الفرق والتمييز بين المقدس والمادي، بل لنا ان نقول ان المادية هي السمة العامة للحضارة الحديثة، وعلينا ان نقي شبابنا من آثارها المدمرة.

ان الشجاع في نظر الوجودية ـ والحضارة الحديثة بوجه عام ـ هو الذي يخلع كل أردية الدين والفضيلة والمعتقد ويخرج الى الحياة متجرداً من كل ذلك ليعيش حياته ويحقق وجوده.

يقول جون بول سارتر .«ان ما ينبغي ان تكون عليه حياة الوجودي هو توديع ما يسمى وجدانا وضميرا، لأنها تسمية خلعها الجبناء على هذه الأشياء وينبغي الاستجابة لداعي الحيوانية، وتلبية كل ما تدعو اليه شهواته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية وما تواطأ عليه الناس من الجهة الأخلاقية، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان والفلاسفة وتبنتها المدنية، ثم تطليق الماضي، وسلخ المرء منها متجهاً الى الأمام، الى المستقبل قفزاً، الى المصير. المصير المحتوم. الى الهاوية الى الموت الأبدي».

وهكذا تتجسد هذه الانحرافات والاوهام في مسرحيات وروايات يؤلفها الكتاب الوجوديون وغيرهم من الشيوعيين وتترجم الى العربية وتنقل الى الشباب عبر الكتاب والصحيفة والاذاعة والتلفزيون، فتبث القيم الشاذة المعادية لمجتمعاتنا عبر اجهزة الاعلام.

ولقد وصف الدكتور جارودي ـ الذي كان شيوعيا واسلم ـ الوجودية بقوله: «الوجودية فلسفة الاستعمار، فلسفة هدم لا بناء، فلسفة تدمير

الشخصية الانسانية، فلسفة اسقاط النفس الانسانية في مجال اللذة والشهوات بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها أو تركيز وجودها، فلسفة مادية تستهدف الاستمتاع السريع وخشية الموت».

وطالما استخدمت الوجودية للترويج السياحي، ولجذب المترددين على المواخير والخمارات وبيوت الدعارات، كما اخذ الإعلاميون العرب يتفننون في نقل هذه الفسلفة وتلك الأفكار الشاذة الى الاعلام العربي الموجه الى الشباب بوجه خاص، وكأنها مؤامرة لتثبيط الهمم، وبث روح الميوعة والخنوع بين أبنائنا

بين الحرية الحيوانية والحرية العاقلة:

وتطرح الحضارة الحديثة معاني منحرفة للحرية، حتى تصبح كما تصور في الاعلام الغربي حرية الغريزة الحيوانية لا حرية الارادة الانسانية، وارخاء العنان لشهوات الانسان بهذه الصورة التي نشاهدها في الأفلام والتمثيليات واشرطة الفيديو الجنسية "الزرقاء" وفي هذا هدم للانسان والمجتمع، فحرية الرقص والمقامرة وشرب الخمر وارتكاب الفاحشة علنا وعلى شاشات السينما والتلفزيون الذي يتعرض الشباب لمشاهدته يؤثر على الشباب تأثيرا هداما باسم الحرية

في حين أن موقف الاعلام السليم هو ضرورة تحديد مدى ما يمارسه الفرد من حرية في مجتمعه العربي الاسلامي، فالحرية لا تمارس الا في حدود القيم والفضائل وفي نطاق الأخلاق والدين الذي يقوم عليه بناء المجتمع، وهي حرية تسمو بالشباب وتصونه من التدني أو التردي في حمأة الموبقات، ذلك ان من واجب الاعلام ان يسمو بالشباب سمواً يشعرهم بالعزة والكرامة

وفي محاضرة للدكتور رجاء جارودى بعنوان "قضايا الاسلام" في الدول الأوروبية نجده يقسم الحرية الى قسمين: حرية حيوانية غير عاقلة، وحرية انسانية عاقلة، ثم يستطرد قائلا: ان الحرية السماوية تلبي حاجات انسانية محضة، وان حرية الانسان لا تأتي من ممارسته للفوضى والعدم، بل سن الحرية المسئولة امام القيم الأخلاقية وأمام الله سبحانه وتعالى، لذا فان العبودية لله الواحد هي الحرية بعينها، ولقد تحرر العربي المسلم حين مارس هذه الحرية في اطار تعاليم الاسلام.

فالله امر المؤمن ان يفكر وان ينتقد الخطأ ولا يسكت عليه، ويُقوِّمَ المنكر اذا رآه. بيده وبلسانه وبقلبه، ثم حث الانسان ان يعمل ذهنه ويفكر في معرفة اسرار الكون، ولهذا كله تحرر الانسان المسلم من العبودية، الا لله وحده، ومارس ارقى اشكال الحرية الفردية والاجتماعية في اطار من الوعي، غير ان اوروبا والفكر المادي الأوروبي والقوانين الأوربية سلبت الانسان حريته فأخضعته وجعلته عبدا للآلة والاستهلاك والسلعة.

ان قيمنا العربية الاسلامية التي ينبغي ان ينطلق موقف اعلامنا منها تطلق كل المواهب والطاقات ليستفيد منها الناس في هذه الحياة الدنيا فيتمتعون بما احل الله س الطيبات وينتفعون بخيرات الله في الأرض ولكن دون سرف أو طغيان، ودون اعتداء أو ظلم، فليأكل الانسان ما يشاء وليلبس ما يشاء من غير سرف ولا مخيله، وليس الزهد ألّا تملك شيئا ولكن الزهد ألّا يملكك شيء.

أما اذا أطلق الانسان كل عنان وتُرك وشأنه في الحياة يأخذ كل ما هو متاح له دون ضابط من دين أو قيد من شرع، أو قانون ودون نظر الى شيء وراء هذه الدنيا، كما تريد الحضارة الحديثة بوجهها البراجماتي أو وجهها

الوجودي هبط الانسان الى مستوى الحيوانية، كما يعيش شباب الخنافس أو شباب الهيبيز، وصار له طبع البهائم التي تعيش لتأكل فقط، وهذا المستوى لا ترضاه قيمنا ولا يرضاه الاسلام قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُم﴾[1].

الاعلام والعلمانية:

ولاشك ان اهم ما يميز الحضارة الحديثة هو طابعها العلماني اي التخلي عن الدين والتخلص منه وعزله عن تيار الحياة وحركتها، وسواء كان التفكير العلماني معتدلا كما حدث في الغرب أو كان ثورياً مادياً متطرفاً إلحادياً كما حدث في الشرق الشيوعي، فان نهاية الأمر هو نبذ الدين من حياة الانسان والدولة والأخلاق والاقتصاد والأسرة ودعوة الانسان الى عدم الايمان بشيء الا من خلال الحس ومدركاته وتجاربه العملية، وهذا هو السبيل الوحيد للوصول الى الحقيقة

ولذلك فاننا نرى الطابع العلماني يصبغ كافة وجوه الاعلام الغربي ونحن اذ ننقل عن الغرب دون تحفظ أو روية فاننا نسقط في هاوية العلمانية وندفع شبابنا الى اعتناقها دون تمحيص أو تدبر، فالعلمانية لها ظروفها الخاصة في اوروبا وأمريكا وليست هذه الظروف متكررة في حضارتنا العربية الاسلامية.

فلقد ظهرت العلمانية في الفكر والسلوك نتيجة ظروف كانت وليدة البيئة الغربية بعضها يتعلق بموقف الكنيسة ورجالها والبعض الآخر يتعلق بتعاليم النصرانية نفسها، فقد ساد في القرون الوسطى تسلط الكنيسة على حركة الحياة في اوروبا وتحكمها في مشاعر الناس وأفكارهم على السواء، وحجرها على العقول والقلوب، وكانت ترى فيما بين أيديها مما تسميه

---

١ سورة محمد. الآية: ١٢.

الكتاب المقدس كفاية لما يحتاجه الناس وما عدا ذلك فلا حاجة للناس اليه، واي فكر لا يصدر عنهاولايتمشى مع اتجاهاتها واهدافها يجب كبته ومصادرته ولو أدى ذلك الى التخلص من صاحبه، ووقفت وراء محاكم التفتيش تقتل وتجرح كل من يرفع رأسه بشيء فكثر ضحايا الكنيسة واصبح قتلاها من العلماء وعامة الناس وسجناؤها يعدون بالآلاف

أحدثت هذه الظروف رد فعل عنيفٍ لدى جماهير أوربا وولدت سخطاً عاماً ضد الكنيسة في جميع الأوساط وبخاصة الطبقة الوسطى، فانفجر الجميع ضد الدين ورجاله جميعاً ونادوا بالحرية والعدل والمساواة أو فصل الدين عن الحياة وترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

وخرج الكتاب والصحفيون والأدباء والشعراء ينكرون على الكنيسة عسفها وجورها، وطفحت الكتب والصحف والمجلات بالنقد الشديد والسخرية من الكنيسة ورجالها.

ونقل المسلمون هذا التعريض بالدين في كتبهم وشعرهم ورواياتهم واخذوا يتندرون بعلماء الدين ويسخرون منهم ويضحكون الناس عليهم، علماً بأنه لايوجد في الاسلام خصام أو سوء تفاهم بين الدين والعلم كالذي حدث بين الكنيسة ورواد الفكر الغربي، بل على العكس هناك انسجام تام بينهما ودعوة حارة من الاسلام للعلم والتعلم.

إن الاعلام الغربي يصدر عن منطلقات علمانية لا دينية واذ تنتشر هذه الآفة في اعلامنا يروج في مجتمعنا العربي الاسلامي مذهب يقتل روح المبادرة الحية المستقلة المبدعة في الشباب، وينبغي على اعلامنا العربي ان يفصح عن حقيقة العلمانية.. مؤكداً أن الثوب الذي لبسته العلمانية باسم العلم هو ثوب زائف ليدخلوا به على المجتمعات الاسلامية ولا يثيروا

مشاعر المتدينين منهم بحال من الأحوال، ولذلك فان قبول العلمانية في اي مجتمع عربي اسلامي معناه الالحاد والمرود عن الاسلام وردة صريحة عن دين الله الذي رضيه لنا.

الاعلام الشيوعي والشباب:

وأخطر وجوه الحضارة الحديثة وأخبث تحدياتها الفكر الماركسي والدعوة الشيوعية، ولقد ثبت بمالا يدع مجالا للشك ان دعاوى هذا المذهب المادي قد سقطت كلها كالقول بالتناقض الكامن في الأشياء وحتمية قوانين الجدل والمادية التاريخية وفائض القيمة والاعتماد الكلي على ماهو مادي فقط.

لقد تساقط هذا كله امام البحث الجاد والمناقشة العلمية الموضوعية، وارغم التطبيق الماركسيين على التنازل عن أجزاء من نظرياتهم الجامدة، كالقول بالملكية المحدودة واعادة نظام الارث والحافز المادي الذي اثبتت التجارب وشهد الواقع الملموس أهميته في ترقية الحياة، وتحسين الانتاج وتنمية القدرة على الابتكار والابداع.

ان الاعلام الشيوعي يعرض الأخبار بطريقة دعائية مثيرة تظهر التأييد، وتعرب عن الثقة الزائفة، وهو اعلام صادر عن الحزب الشيوعي يسبح بحمد الدولة وقادتها، الى حد عبادة الحاكم كما حدث لستالين ولينين من قبل، فالصبغة السياسية المذهبية غالبة على الاعلام الذي هو اداة لنشر المبادىء الشيوعية وخاصة بين الشباب.

ويتوجه الاعلام الشيوعي الى الشباب يزين له معاني المساواة والعدل والسلام مخفياً حقيقته المرة وهي انه مذهب ينكر الدين ويكفر بعالم الغيب وبكل ما دعا اليه الأنبياء والرسل

يقول ماركس: ان الدين زفرة الكائن المثقل بالألم، وروح عالم لم تبق فيه روح،وفكر عالم لم يبق فيه فكر، انه أفيون الشعوب وإذاً فنقض الدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا الوادي الغارق في الدموع[1].

ويقول لينين: ان الدين نوع من انواع العبودية التي تبتلى بها الجماعات الفقيرة في كل زمان ومكان، وقد تولد عن ضعف الطبقات المستعبدة الذي أدى الى ايمانها بحياة أخرى خير من الحياة في هذه الدنيا، ويعلم الدين هؤلاء الناس الذين يعملون ويقاسون الفقر والعبودية وذلك لما يمنيهم به من جزاء سماوي، والدين بهذا مخدر للناس وهو نوع مس الخمر الروحية قصد به أن يخلق عبيداً للرأسمالية وأن ينزل بإنسانيتهم وطموحهم وآمالهم الى وجود متوسط[2].

والشيوعية قد تطيق صبرا على المسيحية ولا تطيق الصبر على الاسلام الا ريثما تتحفز له وتغل ايدي اتباعه من المقاومة لأن المسيحية تدع شئون الدولة للدولة، ولا تتعرض للنظم الاجتماعية او لاقامة المجتمع على اساس معين

ومن الأمثلة التي تبين مدى الحقد الذي يعمى على الشيوعيين وجه الحقيقة ويبعدهم عن ساحتها تجاه الاسلام ما جاء في دائرة المعارف السوفييتية[3] تعريفا للقرآن: (القرآن الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين مجموعة من المواد الدينية المذهبية والاسطورية القانونية، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب «عثمان»، ثم ادخلت عليه فيما بعد، حتى بداية القرن الثامن، وفق ما بلغنا من معلومات، بعض التغييرات ووفقا للتراث الاسلامي للتاريخ الديني، يعتبر محمد هو مشرع

---

١ كارل ماركس.ـ الدفاتر الفلسفية جـ ٢ ص:٥٣

٢ الاسلام والاشتراكية ـ ميرزاحين. ص: ٣٤٤

٣ ـ دائرة المعارف السوفييتية. جـ ١١ ص: ٥٦٤.

القرآن، كما يعتبر مؤسس الاسلام على انه وفقا للتحليل الموضوعي للقرآن هنالك نظرية تقول ان جزءا معينا منه فقط ينتمي لعصر محمد «ﷺ» أما الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلابد أنها تنتمي لعصور متقدمة او متأخرة عنه ويمكن ان يتبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن يمكن ان تعزى لتطور اللغة العربية ولزمن ظهور السور ومكانها، وتستخدم الطبقات الاستغلالية القرآن ورجال الدين الاسلامي الرجعيين سلاحا لخداع الجماهير الكادحة وكبحها).

ومع ذلك يتبجح الاعلام الشيوعي بأنه يمنح الجميع حرية القول والتدين ويروج للأنباء القائلة بعقد مؤتمرات تبحث في شئون الاسلام والمسلمين وتقارن بين الاستعمار الغربي الذي حكم بلاد المسلمين زاعما ان الشيوعية ضد الاستعمار والاستغلال.

الشيوعية والغزو الفكري:

وينبغي على اعلامنا العربي ازاء هذه الافتراءات والمتناقضات ان يصور لشبابنا حقيقة الأمر، ويذيع عليهم ان المساحة التي كانت روسيا عليها قبل ابتلاع أراضي المسلمين هي عُشر مساحة الاتحاد السوفييتي الآن، والتسعة أعشار هي أرض اسلامية مائة بالمائة زحف عليها الطغيان الماركسي فضمها الى ارضه مستخدما وسائل الابادة والقتل والتشريد التي وقعت على المسلمين.

لقد كانت مساحة روسيا (١,٤ مليون كم٢) فصارت بعد ضم البلاد الاسلامية (١٤ مليون كم٢) فالأورال وسيبريا والقرم والقوقاز بلاد اسلامية وكذا التركستان التي منها امام السنة البخاري والمفسران الزمخشري والنسفي، ومنها عبدالقادر الجرجاني وسعدالدين التفتازاني، ويوسف السكاكي من أئمة البلاغة، والفارابي وابن سينا من الفلاسفة، ومنها كذلك البلخي من علماء الرياضة والفلك، وبنو موسى من علماء الهندسة ومنها البيروني والمارتيدي والخوارزمي والسركسي والجوهري وغيرهم.

ولا تزال خطة الشيوعية ماضية في طريقها بالغزو العسكري والفكري، وما تدخلهم وغزوهم لافغانستان سوى آخر الأمثلة على العدوان على بلاد المسلمين واصابعها واضحة في الكيد للاسلام واهله في كثير من الدول الاسلامية والعربية وذلك عن طريق الأحزاب الشيوعية التي انتشرت فيها، وخاصة الدول التي اعتنقت حكوماتها الفكر الاشتراكي، فقد عمدت بعض هذه الدول الى الترويج للماركسية عن طريق اجهزة الاعلام تحت شعار الاشتراكية

الشيوعية تهدم الأسرة:

وفي حين ينظر الاسلام الى الأسرة على انها سكن يأنس اليه الانسان، ويجد فيه راحته وهدوءه وهي اللبنة الأولى للمجتمع، وعلى اساسها تكون سلامة المجتمع ومتانته، فهي المكان الطبيعي لتربية الأبناء وتنشئتهم ، نقرأ على لسان كارل ماركس مايلي:

"حين يقول الوالدان هذا ابني وتلك ابنتي لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة ابوية فحسب، بل توحي بأن للأبوين حقا في تربية اولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون، والاشتراكية تأبى هذا الاقرار بهذا الحق للآباء لأن الفرد ليس ملكا لنفسه ولكنه ملك للجماعة"

وجاء على لسان صديقه انجلز:

"ان الأسرة هي وضع من أوضاع مجتمع لا نضج فيه ولا جدوى منه، ولامحل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده الا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة، وتستند الماركسية في موقفها هذا الى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية والرغبة في التملك والملكية"[1]

---

١ المذاهب الاشتراكية الدكتور أحمد جامع ص: ٢٩٤

أمراض الحضارة الحديثة:

ان الشيوعية ـ كما جاء في البيان الشيوعي ـ الذي اعده ماركس وانجلز ترغب في احلال شيوعية للنساء صريحة ورسمية، أما ما ينشأ عن هذه العلاقات الحيوانية من انتاج وأولاد فسوف ترعاهم الدولة، أما الحضارة الغربية فقد ثبت بالأرقام انها تعج بالصلات الجنسية غير المشروعة والسلوك الهجومي والمضاد للمجتمع، وعمليات الاجهاض الاجرامية، والعلاقات الزوجية الآثمة وتعاطي المخدرات والمسكرات واهمال الأطفال وجرائم الأحداث والشباب.

يقول الدكتور عمر شاهين رئيس قسم الطب النفسي في جامعة القاهرة:

"ان الدول المتقدمة تعاني من امراض الحضارة كما يطلقون عليها مثل الانحرافات الجنسية والادمان على المخدرات والكحوليات والأمراض النفسية والعصبية، وكان من المتوقع ـ مع الاستقرار المادي ـ ان تختفي مظاهر القلق المختلفة ولكن الذي حدث هو العكس فقد ازدادت الأمراض النفسية والعصبية مع تقدم الحضارة.

«والظاهرة اللافتة للنظر في هذا الصدد هو ازدياد نسبة الانتحار بشكل مفزع، ففي المؤتمر الدولي الذي عقد في هلسنكي عاصمة فنلندا سنة ١٩٧٧م تبين ان نسبة الانتحار بين الشباب قبل سن الخامسة والعشرين قد قفزت في دول اوروبا وأمريكا الى ٣٠٠٪ في خمس سنوات».

ويستطرد الدكتور عمر شاهين قائلا: وتظهر عظمة الاسلام في تحريمه للخمور عندما نرى مضارها على أبناء أوروبا على النحو التالي:

أ ـ ٦٠٪ من حوادث السيارات في اوروبا سببها الأول هو تعاطي الخمور.

ب ـ ٢٠٪ من مرضى فرنسا يعانون من مضاعفات الكحول.

جـ ـ ثبت طبيا ان ادمان الخمور يؤدي الى الاصابة بعدة أمراض خطيرة مثل

قرحة المعدة، والاثنى عشر، وتليف الكبد، وتضخم عضلة القلب وضمور المخ والتهاب أطراف الأعصاب، وأعراض عقلية تصل الى الجنون.

ولا خلاف بين دول أوروبا الغربية أو الشيوعية في أن الأمراض العصبية والنفسية التي تنتاب شعوبها هي نتيجة لابتعادها عن الايمان او محاولة ابعاد الايمان عنها.

ويقول رئيس قسم الطب النفسي: ان الصحة النفسية للشعوب الخاضعة للحكم الشيوعي بالغة السوء حيث توجد أعلى نسبة انتحار في العالم. وقد ثبت بالارقام الرسمية ان المجر بها أعلى نسبة انتحار في العالم وهي دولة شيوعية، ثم تليها المانيا الشرقية وهي دولة شيوعية أيضا، ويأتي في المرتبة الثالثة دول شمال أوروبا السويد والنرويج والدانمارك. اما الاتحاد السوفيتي فهو يعمل على اخفاء نسبة الانتحار فيه ولايظهرها أبدا ولاشك انها عالية[1]

الحضارة الحديثة والجنس:

وفي لوس انجلوس كشف معهد ابحاث أمريكي عن فضيحة أخلاقية مفزعة، وهي ان عشرة آلاف فتاة في كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالا غير شرعيين، وان عدد البنات اللائي ولدن ولادات غير شرعية في الولايات المتحدة يزيد عن ٣٠٠ ألف فتاة، وان في مدرسة ثانوية واحدة في مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة وما يحدث في أمريكا يحدث مثله في بريطانيا والمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا.

---

١ ـ الدعوة المصرية العدد ٣٣. ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

وفي سنة ١٩٦٢م صرح كنيدي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق انه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية.

وقد نشر أخيراً رمزي كلارك ـ النائب العام الاتحادي في الولايات المتحدة الأمريكية ـ احصائية عن جرائم بلاده في عام جاء فيها عن متوسط الجرائم:

انه تقع جريمة قتل كل ٤٣ دقيقة،وجريمة اغتصاب امرأة كل ١٩ دقيقة وجريمة سرقة كل دقيقتين،وجريمة سطو على المنازل كل ٢٠ دقيقة، وسطو على السيارات كل ٤٨ ثانية، واختطاف رجل كل ٢٠ ثانية[1].

الاعلام الصهيوني والجنس:

ومن الثابت ان الاعلام اليهودي يسيطر على صحف العالم الغربي وقد جاء في البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون:

«لقد أفسدنا شباب الجويم (غير اليهود) وآدابه بما لقناه اياه من المبادىء الهدامة والنظريات الزائفة وحصلنا على نتائج باهرة من غير ان نمس القانون السائد نفسه».

وفي البروتوكول الثالث عشر:

«سنعمل للحيلولة دون قيام الاغيار بأي تفكير حقيقي نابع من ذاتهم على توجيه اهتمامهم الى مجال اللهو والالعاب والتسلية والاثارة الجنسية

---

١ ـ نظام التجريم والعقاب في الاسلام مقارنا بالقوانين الوضعية.المستشار علي منصور.

والقصور الشعبية، ومثل هذا الاهتمام سيصرف عقولهم تماما عن القضايا التي نجد أنفسنا مضطرين الى مكافحتهم فيها».

وجاء في البروتوكول الرابع عشر:

«وقد نشرنا في بلدان تدعي الرقي أدبا منحلا دنسا تغثى منه النفس، وسنوالي بعد قيام مملكتنا بزمن يسير تشجيعه رجاء أن نجلي ما بينه وبين أدبنا من فوارق من المضمون النقي المحمود، وسيعد شيوخنا المهيئون لقيادة الجويم خطبا وبرامج ومذكرات ومقالات تؤثر في عقول الجويم وتقودهم الى معارف وآداب تصوغهم الصياغة التي نريدها[1]

الاعلام والحب الحيواني:

ولنقدم عينة من الاعلام اليهودي الجنسي نقول ان اليهودي الألماني يواخيم دريش أصدر مجلة اسمها (سانكت باولي تسايتونج) في همبورج، لسان حال حزب سياسي جديد هو حزب الجنس، وشعار هذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع، وتدريس العملية الجنسية للأولاد والبنات عمليا وعلى الطبيعة في سن التاسعة، واباحة الزواج المشاعي (وهو ان يتزوج جماعة من الرجال بجماعة من النساء ويتبادلون الزوجات فيما بينهم) واباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ (على غرار ما أقره البرلمان الانجليزي مؤخرا في اباحة اللواط) وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة، والنظر الى الخيانة الزوجية على انها الأمر العادي والطبيعي والمأمون، ودستور الحزب يهدف الى جعل حبوب منع الحمل والاجهاض حقوقا مشروعة والحل السياسي لأزمة العالم في نظر الحزب هو الحب بدل الحرب. أي الحب الجنسي على طريقة الحيوانات.

وتبيع هذه المجلة مليون نسخة، وهناك ثلاثة آلاف الماني والمانية يدفع كل منهم عشرة ماركات اشتراكا شهريا رسم ولاء وانضمام، وسكرتيرة

١ بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة أحمد عبدالغفور.

رئيس الحزب فتاة جميلة تظهر دائما عارية تماما كما ولدتها أمها وتستقبل الضيوف والزوار عارية على الدوام.

وعندما رفعت قضية دعارة ضد هذه المجلة ورئيسها، ذهب الرئيس الى المحكمة محمولا على اكتاف ست فتيات عاريات الصدور[1].

الاعلام وشبابنا العربي:

أليس من العبث والعار بل من الاجرام الآثم ان نعرض الشباب العربي لامثال هذه المذاهب الشاذة المريضة المنحرفة؟ وهل نستجيب لهذه الحضارة المريضة فيتأثر بها شبابنا من خلال الاعلام المستورد؟ وهل يجوز ان تنقل صحفنا ومجلاتنا واذاعاتنا المسموعة والمرئية عن تلك الحضارة الغربية المادية الجنسية المنحرفة؟

ان الاسلام وحده بقيمه الرفيعة ومبادئه السامية وأخلاقياته العالية هو الذي يمنح المؤمنين الأمن والأمان والهدوء والاطمئنان.

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[2].

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3].

يقول المؤرخ الانجليزي ارنولد توينبي:

«لاغنى للانسان عن الدين ولن تستطيع الايديولوجيات ان تحل محل الدين، لأنها تمنحنا التعصب والبتاغض بدلا من التعاون، انها تمنحنا لقمة الخبز ولكنها تسلبنا الطمأنينة النفسية والتحرر الروحي».

---

١ ـ الشيطان يحكم. الدكتور مصطفى محمود.

٢ سورة الأنعام. الآية: ٨٢.

سورة الرعد. الآية: ٢٨

ويقول سومرست موم:

«ان اوروبا قد نبذت اليوم الهها وآمنت بإلة جديد هو العلم ولكن العلم كائن متقلب فهو ينفي اليوم ما اثبته بالأمس، ويثبت غدا ما نفاه اليوم، وكذلك تجد عباده في قلق دائم لا يستقرون».

وماذا نقول لاعلامنا العربي الذي يؤثر في شبابنا والذي يتعرض لآثار الحضارة الحديثة؟

نقول له ان الايمان والأخلاق والاحتشام والاحترام والقيم الرفيعة والمبادىء السامية، وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلٰهية هي القوى الموجهة للاعلام العربي الأصيل لتوجيه شبابنا فتيانا وفتيات.

ولنستمع الى ليوبولد فايس الذي هداه الله الى الاسلام وأطلق على نفسه اسم محمد أسد الاسلام، وأصبح من أكبر الدعاة بعد ان لفظ اليهودية، وهو يقول:

«نجد الاسلام وحده من بين سائر الأديان يتيح للانسان أن يتمتع بحياته الدنيا الى أقصى حد في غير تضييع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، ذلك انه ليس في الاسلام خطيئة أصلية موروثة وليس من أجل ذلك ثم غفران شامل للانسانية».

«ان كل مسلم رهين بما يكسب،والاسلام ينظر الى الحياة في هدوء واحترام، ولكنه لا يعبدها،ان النجاح المادي مرغوب فيه ولكنه ليس غاية في نفسه، بل يقود الانسان نحو الشعور بالتبعية الأدبية في كل ما يعمل، والغاية من جميع نشاطنا العملي ان يكون خلقيا».

دور الاعلام
في إثارة طموحات الشباب

الدكتور عمر الخطيب(*)

يعرف (ايفيرت روجرز Rogers) الطموحات بأنها الحالات التي يتمنى الفرد تحقيقها في المستقبل[1] ويعدّ هذا المفهوم للأماني والآمال ذا أهمية خاصة للدول النامية التي تحتاج الى النهوض بشعوبها من حالة القدرية (Fatalism) والخوف من التغيير. فعاملا القدرية وغياب الرغبة في المكافأة المؤجلة (Lack of deferred gratification) اللذان يسيطران على الحياة الفكرية في الدول النامية يجعلان الشباب يفكر بصيغتي الماضي والحاضر أكثر مما يفكر بصيغة المستقبل[2] وان ما تحتاجه الدول النامية هو تشجيع الطموحات على المستويين الشخصي والقومي.

يجب تعليم الشباب ضرورة التطلع الى المستقبل والسعي وراء تحقيق مستوى حياة أفضل والاستعداد للعمل من أجل تحقيق ذلك. فواجبهم كمواطنين يملي عليهم التطلع الى التقدم وتحقيق القوة والعظمة لأمتهم.

وتوضح النتائج التي توصل اليها دافيد ماكليلاند ودانيل ليرنر وبول دويتشمان ان وسائل الاتصال لديها القدرة على اثارة طموحات وآمال

(*) كلية الآداب. قسم الاعلام. جامعة الملك سعود. الرياض.

1- Everett M. Rogers, Modernization Among Peasants: The Impact of Communication (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1969), p. 54.

2- Ibid., p. 36.

الشباب في الدول النامية[1]. وقد وضع ايفرت روجرز هذا النموذج لدور التعرض لوسائل الاتصال الجماهيري في التحديث معتمدا على نتائج ليرنر ودويتشمان[2]:

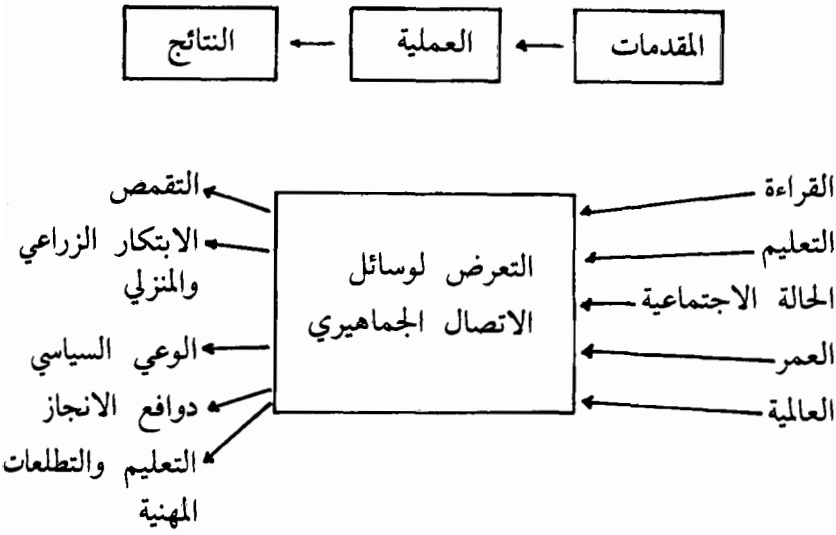

(دور التعرض لوسائل الاتصال الجماهيري في التحديث)

1- McClelland, The Achieving Society; Lerner, The Passing of Traditional Society; Deutshmann, "The Mass Media in an Under Developed Village", Journalism Quarterly, XL (Winter, 1963), 27-35.

2- Rogers, op. cit., p. 102.

توضح المتغيرات الموضوعة في الجانب الأيمن من الشكل العناصر التي تحدد ما اذا كان الفرد سيكون من بين جمهور الاتصال الجماهيري ام لا ويشكل التعرض لوسائل الاتصال في هذا المثال عنصرا «مركزيا»، فهو يعد مؤشرا للاحتكاك برسائل وسائل الاتصال والافكار المؤدية الى تقمص أكبر للأدوار التي تعرضها وسائل الاتصال، وتبني الأفكار الجديدة والمعرفة الأوسع والتطلعات الأقوى نحو مستوى حياة أفضل.

وتبدأ عملية التحديث باتصال جماهيري جديد ونشر أفكار ومعلومات جديدة تحفز الشباب كأفراد ومواطنين نحو الرغبة في اتباع مسلكيات جديدة.

ويمكن استغلال وسائل الاتصال الجماهيري في تعبئة طاقات الشباب (بدون خلق آمال لا يمكن تحقيقها) عن طريق العرض السليم لمجالات الاهتمام الجديدة. وفي حالة موقف المزارعين الهنود من الزمن المستقبل يقول (راو ــ Rao) انه عندما نجحت وسائل الاتصال في توسيع آفاقهم الزمنية والمكانية استطاع هؤلاء المزارعون فصل الماضي والحاضر والمستقبل والتفكير ضمن هذه العلاقات المتبادلة فالقول: «اذا كان ذلك صالحا لجدي فهو يصلح لي أيضا» يشير الى التمسك بالأسلوب التقليدي، فما لم تتوفر لدى الفرد القدرة على النظر الى المستقبل من خلال قياس وتقدير الحاضر بالنسبة للماضي، فمن المحتم ان تظل امكانات النمو محدودة. و«التوجه نحو المستقبل (Future Orientation)» كما ينعكس في مقدرة الشباب على تخطيط وبرمجة المستقبل يعتمد أساسا على المعلومات المتوفرة لديه والتي تشكل أساساً لخططه[1].

1- Y.V. Lakshmana Rao, Communication and Development (Minneapolis, Minn.: University of Minnesota Press, 1966), pp. 70-71.

ويوضح (راو) كيف ساهمت بعض وسائل الاتصال غير المقصودة في اثارة تطلعات سكان القرية، حيں درس أحد أسباب التطلعات الجديدة التي ثارت في القرية للحصول على «بلوزة» معينة ارتدتها احدى بطلات الأفلام. فقد اضطر صاحب محل للخياطة الى مشاهدة جميع الأفلام السينمائية المعروضة في منطقة نصف قطرها ١٥ ميلا كي يستطيع تقليد زي البلوزة المطلوبة وبذلك ينقذ تجارته من الكساد. وكانت نساء القرية قد بدأن في طلب الحصول على بلوزة مماثلة لتلك التي ارتدتها بطلة الفيلم في مشهد معين بالذات وهنا نرى ان موقف صاحب محل الخياطة تجاه الأفلام السينمائية اقتضته دوافع اقتصادية اي أن تركيز اهتمامه على مشهد محدد قد أفسد عليه رغبة أخرى في الترفيه أو التسلية. ولكن نساء القرية واصلن اعتبار الأفلام السينمائية وسيلة للتسلية بدون ان يفطن الى أنهن قد ساهمن فعلا في ازدهار تجارة أحد أفراد القرية وربما أكثر من واحد.

وقد تصرف رجال القرية على نفس المنوال فقد بدأوا في ارتداء قمصان ذات ياقات عالية كما ان اعدادا متزايدة منهم أخذوا يقلدون أزياء أهل المدينة فالتعرض لوسائل الاعلام أو لسكان المدينة قد يثير في نفوس الفلاحين الرغبة الكامنة في ارتداء ملابس أجمل وبذلك يخلق طلبا جديدا يؤدي بمرور الوقت الى توفير العرض لمواجهة هذا الطلب[1]

قد تكون القفزة واسعة بين الرغبة في ارتداء قميص جديد والتطلع الى تحقيق عظمة الأمة، ولكن بناء الطموحات القومية يعتبر واحدا من أهم الاستخدامات التي تتطلبها معظم الدول الحديثة من وسائل الاتصال الجماهيري ويشير (شرام) هنا الى الدور الذي قامت به وسائل الاتصال الجماهيري في الاتحاد السوفيتي حيث حفلت على مدى حقب متوالية بأخبار

1- Rao, op. cit., pp. 50-51.

النمو القومي والتصنيع معمقة بذلك احساس شعوب الاتحاد السوفيتي المختلفة بالانتماء الى دولة قوية تتجه نحو تحقيق اقتصاد أقوى وحياة أفضل[1]

ولا تخلو عملية اثارة تطلعات وأماني الشباب من المخاطر فكثيراً ما يتبين ان «اثارة هذه التطلعات والأماني أسهل بكثير من اشباعها»[2] فبينما استطاعت الدول المتقدمة تحقيق المجتمع المشارك (Participant Society) كنتيجة للنمو البطيء للتحرك المادي والاجتماعي والنفسي عبر القرون، تلك القرون التي تلخصها كتب التاريخ بعبارات عصر الاستكشاف والنهضة والاصلاح والثورة الصناعية الخ، تهدف الدول النامية الى تحقيق هذه المراحل في بضعة عقود.

ولكن الرغبة في تحقيق تقدم سريع تنطوي على خطر أساسي وهو أن تأثير وسائل الاتصال سيعمل على زيادة الرغبات والمطالب الشعبية بشكل أسرع من قدرة النمو الاجتماعي والاقتصادي على أشباعها. ومن المرجح ان تنطوي عملية النمو على اختلالات حادة في التوازن نتيجة لرغبة الحكومة في تحقيق تقدم سريع ظاهر للعيان دون ان تولي اهتماما كافيا لاستمرارية هذا التقدم.

فسيطالب الشباب الذين حصلوا على مهارات جديدة بالحصول على فرص ملائمة لاستغلال قدراتهم بشكل منتج، كما سيطالب الفنيون بالحصول على آلات جديد للعمل عليها وسيطالب المهنيون بالحصول على

---

1 - Wilbur Shramm, Mass Media and National Development (Stanford, California: Stanford University Press, 1964), pp. 130-131.

2- Lerner, "Toward a Communication Theory of Modernization", in Pye (ed.), Communication and Political Development (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1963), p. 331.

فرص لممارسة مهنهم. فاذا فشل المجتمع في توفير هذه الفرص واشباع هذه الاحتياجات فمن المحتم ان يواجه ما يسميه (ميليكان) و (بلاكمار) (Millikan and Blackmer) بـ "ثورة الاحباطات المتصاعدة (Revolution of Rising Frustrations)"[1]

ويمكن النظر الى انتشار الاحباط في المناطق التي ينخفض فيها معدل التقدم عن المستوى الذي يرغبه الشعب على انه حصيلة للخلل الحاد بين الانجازات والتوقعات وينشأ هذا الوضع عندما تزيد رغبات الكثيرين في مجتمع ما عن القدر الذي يمكنهم تحقيقه. وقد تمت معالجة هذا التفاوت في "نسبة الرغبة الى الحصول (Want/Get Ratio)" في دراسات اجتماعية عديدة من خلال مصطلحي الانجاز (Achievement) والطموح (Aspiration). كما عبر ليرنر عن هذه العلاقة في المعادلة التالية المقتبسة من معادلة (ويليام جيمس)[2]

$$\text{الاشباع} = \frac{\text{الانجاز}}{\text{الطموح}}$$

ويتجلى الخلل الحاد في هذه العلاقة في المناطق التي تعاني من الاحباطات المتصاعدة. وفي هذه الأحوال يزداد المقام عن البسط بسرعة أكبر، فالطموحات تسبق الانجازات او الواقع في العديد من الدول النامية وحتى في الأحوال التي يحقق فيها المجتمع بعض التقدم نحو الهدف المنشود يشعر الكثيرون من الناس بعدم الرضا لأن ما يحصلون عليه أقل بكثير مما يتطلعون اليه. ويمكننا القول بأن التوقعات والتطلعات في بعض الدول

1- Max F. Millikan and Donald L.M. Blackmer (eds.), The Emerging Nations (Boston: Little Brown, 1961), p. 41.

2- William James, Psychology: Briefer Course (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1923), p. 187.

النامية كانت عالية جدا بحيث ألغت الاحساس بتحقيق أي تقدم على الاطلاق[1]

وهكذا يعجز الواقع عن تحقيق الآمال ويصف (ليرنر) فترة الستينيات من هذا القرن بأنها فترة "ثورة الاحباطات المتصاعدة"[2] ويقول (روجرز) ان قادة الدول النامية قد اكتشفوا ان وعودهم السياسية لم تكن سوى "كمبيالات عجزوا عن تسديدها" وبذلك ساد عدم الاستقرار السياسي في كثير من دول افريقيا وبعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية وقد دفع ذلك بعض خبراء التنمية الى القول بأن التنمية تحتاج الى قدر معين من التطلعات اللازمة لبناء الدولة الحديثة ولكن الافراط في مثل هذه التطلعات يؤدي الى خلق جو من الاحباط العام يفضي بدوره الى نتائج مدمرة. وعن الأسباب التي تدفع بالآمال الى تجاوز الواقع في كثير من الدول الحديثة يقول (روجرز) ان استخدام وسائل الاتصال في الدول الأقل تقدما يتسم بالتالي:

ان وسائل الاتصال بصفتها داعية لرغبات جديدة قد نجحت في تقديم رسالة الآفاق الأوسع، ولسوء الحظ لم تحقق وسائل الاتصال نفس النجاح والفعالية في شرح وتوضيح سبل تحقيق هذه الأهداف لجماهيرها. فقيام وسائل الاتصال مثلا بتعليم الفلاحين القراءة عن طريق الاستماع للدروس المذاعة بالراديو أمر أكثر صعوبة من اظهار مزايا الحياة في المدينة.

ومن هنا تزداد الحاجة لاستغلال وسائل الاتصال الجماهيري كأدوات لتحقيق فعاليات التنمية (مثل تعليم القراءة والكتابة) يوما بعد يوم. فعندما تشجع وسائل الاتصال جماهيرها على ان ترغب في المزيد دون ان توضح

1- Lerner, "Toward a Communication Theory of Modernization in Pye (ed.), Communication and Political Development, p. 333.

2- Ibid., p. 349.

لهذه الجماهير كيفية الحصول على هذا المزيد (الانتاج الغذائي، الدخل الأعلى، التعليم الأفضل للأولاد) تكون النتيجة الحتمية هي الاحباط وليس التحديث[1]

وتنظر (ميد Mead) الى المسألة من زاوية نفسية فتقول:

"يمكننا ان نتصور انه لايوجد أي ضرر من زاوية الصحة العقلية في اثارة احتياجات ورغبات جمهور لا يشعر في ذلك الحين بتلك الرغبات والاحتياجات أو على الأقل لا يعيها أو يدركها جيدا. ان مثل هذه الاثارة من شأنها خلق الاستقرار والتنافر والتوتر فاذا تعذر تفريغ هذه التوترات كان لابد من توقع استمرار الاحباط، اما اذا أمكن توفير الوسائل اللازمة لذلك فسيكون من الممكن ترشيد هذا الاحباط ليصبح أساسا للسلوك الجديد المرغوب فيه، وفي حالة اثارة الرغبة في الحصول على آلات حديثة او طعام جديد او تعليم مجاني والعجز عن تحقيق ذلك بسبب الفقر أو عدم توفر الموظفين أو المستخدمين فلابد اذن ان نتوقع الاحباط واحتمال الرجوع الى السلوك القديم الذي سيصبح عندها أقل تحقيقا للرضا مما كان في الماضي وهنا تتضح مخاطر عديدة، مثل خلق احتياجات ملموسة يصعب اشباعها في ظل الظروف القائمة. ولكن يمكن التخفيف من حدة هذه المخاطر عن طريق عدم الابتعاد عن الظروف المحلية القائمة وتركيز الجهد على ما هو ممكن، فيمكن مثلا تدريب المدرسين قبل بناء المدارس المحلية ويمكن البدء باستيراد البذور الجيدة قبل المباشرة بحملة دعاية لاستعراض مزاياها[2].

ويتبع (توفلر Toffler) نفس الاتجاه فيحذر من الافراط في اثارة احتياجات ورغبات الشباب الأمر الذي يؤدي الى انهيار الجسد تحت وطأة

1- Rogers, Modernization Among Peasants, pp. 12-13.

2- Margaret Mead (ed.), Cultural Patterns and Technical Change (Devanter, Holland: LJsel Press, 1953), pp. 289-290.

الضغوط والى تشتيت العقل بسبب تراكم الأعباء عليه وهو يشير الى ان الاندفاع العشوائي وراء عجلة التغيير لا يؤدي الى الاضرار بصحة الافراد الأقل قدرة على التكيف فحسب بل قد يؤدي أيضا الى الاضرار بمقدرتهم على التصرف السليم والشيء نفسه يمكن ان يقال بالنسبة للتقليل سن الاثارة (Understimulation)؛ اذ يشير (توفلر) الى ان التجارب النفسية الفسيولوجية قد أثبتت بما لا يدعو الى الشك وجود ما يمكن تسميته "بالمدى التكيفي (Adaptive Range) الذي يؤدي تجاوزه علوا وانخفاضا الى تقويض قدرة الانسان على التأقلم" وعلى ذلك لايمكن تحقيق التكيف أو التأقلم الناجح الا عندما يكون مستوى الاثارة ـ أي كمية التغيير والجدَّة ـ معقولا وبدون افراط في الزيادة او النقصان[1]

فصدمة المستقبل "Future Shock" كما يقول توفلر هي النتيجة الحتمية للافراط في الاثارة، ويحدث ذلك عندما يضطر الفرد الى التصرف بشكل يتجاوز مداه التكيفي[2]

ان الصدمة الحضارية التي يصاب بها المسافر واحساسه بالغربة الشديدة حينما يجد نفسه فجأة في وسط حضاري غريب عنه تماما تعطينا المثل للافراط في الاثارة وانهيار المقدرة على التأقلم. ويعد ذلك شكلا من اشكال الفشل في التأقلم، وهذا بدوره رد فعل لمحاولة آنية غير ناجحة للتكيف مع البيئة الجديدة والمجتمع الجديد[3]، فالشخص المصاب بصدمة حضارية يجد نفسه في موقف يضطر معه الى مواجهة احداث غير مألوفة وعلاقات وأشياء مفاجئة غير متوقعة ، واحساسه بالمفاجأة التامة الناجم عن

1- Alvin Toffler, Future Shock (New York: Random House, 1970), pp. 305-306.

2- Ibid., p. 306.

3- Ibid., p. 308.

الأوضاع الجديدة يؤثر على وعيه بالواقع من حوله، وهو يتمنى وجود البيئة الموثوقة وغير المتقلبة التي تسمح له باشباع احتياجاته النفسية والجسمية الهامة، لذلك يصبح الفرد سرتبكا وقلقا بل وكثيرا ما تسيطر عليه اللامبالاة[1]

ويقول (سليد Slade) ان هناك لغتين قويتين للتغيير تتوفر كلتاهما لدينا، فالأولى ترسل البيانات في حركة والثانية ترسل الصورة في حركة، الأولى هي الحاسب الالكتروني والثانية هي الفيلم والتلفزيون والقمر الصناعي[2].

ويواجه مشاهدو التلفزيون في الدول النامية صدمة حضارية بسبب تعرضهم للكثير من البرامج والأفلام الأجنبية، ويقول (بارناو ـ Barnouw ان هناك كثيرين من الفنانين والمدرسين والعاملين في مجال الخدمة الاجتماعية في العديد من الدول يعارضون التلفزيون الأمريكي " اذ يتولد لديهم الاحساس بأنه يتم اجتثاث الحضارة من اصولها"[3].

ويصف بعض كتاب العالم الثالث برامج التلفزيون الأمريكي بأنها شكل من اشكال الغزو الحضاري ويقول الكاتب البرازيلي (باولو فريرو Paulo Freiro في كتابه "بيداغوجيا المظلومين Pedagogy of the Oppressed عن الغزو الحضاري انه في حالة الغزو الحضاري يتسلل الغزاة الى المضمون الحضاري لمجموعة اخرى دونما احترام لقدراتها وامكاناتها ويبدأون في فرض وجهة نظرهم على اولئك الذين يغزونهم وبذلك يكبتون قدرتهم على الخلق والابداع عن طريق منعهم من التعبير عن انفسهم[4].

1- Ibid., pp. 308-309.

2- Mark Slade, Language of Change: Moving Images of Man (Toronto, Montreal: Holt, Rinehart and Winston of Canada, Limited, 1970), p. 5.

3- Erik Barnouw, The Image Empire (New York: Oxford University Press, 1970), p. 115.

4- Paulo Freiro, Pedagogy of the Oppressed, tr. by Myra Bergman Ramose (New York: Herder and Herder, 1970) p. 150.

وقد اثبت الواقع ان الأسعار المشجعة لبرامج التلفزيون الأمريكي في الخارج قد ادت في كثير من الحالات الى الحد من تطور المواهب والكفاءات المحلية المتخصصة في الانتاج التلفزيوني.

وقد قال كاتب ومخرج تلفزيوني كندي في خطاب له امام مجموعة من مديري التلفزيون الأمريكيين عام ١٩٦٦م لقد جعلتم من المستحيل علينا ان نكسب رزقنا. فولدي يعيش فكريا في الولايات المتحدة[١]

كذلك اتخذ (شيلر Schiller) موقفاً صلباً من الخطر الذي يتهدد بقاء وسلامة التراث القومي والاقليمي والمحلي والقبلي للمجتمعات النامية:

اذا كان هنالك امل في الابقاء على تنوع الحضارات الموجودة في اي مكان على ظهر هذا الكوكب، فان مثل هذا الأمل يعتمد ـ الى حد كبير ـ على عزم وقدرة العشرات من الدول الضعيفة على الصمود امام اغراء السلع التي تقدمها مؤسسات الترفيه في الغرب مغلفة بورق السيلوفان البراق، وعلى اصرار هذه الدول على تطوير موادها الاذاعية مهما استغرقها ذلك من زمن[٢].

ويوضح (شيلر ـ Schiller) مخاطر تقديم مطالب الاستهلاك في المراحل الأولى للتنمية الاقتصادية :

ان تشجيع النزعة الاستهلاكية (Consumerism) في العالم الفقير يمهد الطريق امام انتشار الاحباط على نطاق واسع ، هذا الى جانب وجود رأي عام قوي يشك في مرغوبية اتباع النمط الغربي في التنمية ، فاثارة الرغبة

1- Barnouw, op. cit., p. 114.

2- Herbert Schiller, Mass Communications and American Empire (Boston: Beacon Press, 1971), pp. 121-122.

في حاجات الاستهلاك الفردي تحرم المشروعات العامة وامكانيات التطوير ذي المدى الطويل من المواد النادرة اللازمة لها. كذلك يزيد الميل الى الاستهلاك الرغبة الاكتسابية لدى الفرد، الأمر الذي لا ينسجم مع حاجة المجتمع للتعاون الجماعي الفعال[1]

كذلك يعد التراكم الزائد للمعلومات نتيجة اخرى للافراط في الاثارة، فاذا كان الافراط في الاثارة على المستوى الحسي يزيد من تشويه ادراكنا للواقع، فان الافراط في الاثارة المعرفية (Cognitive overstimulation) يتعارض مع قدرتنا على التفكير.

واذا وجد الفرد نفسه في موقف تتوالى فيه التغييرات والتطورات فان مقدرته على التنبؤ الدقيق ستنحدر حتما ولن يكون قادرا على التقويم السليم الذي يعتمد عليه اي تصرف متعقل، ولتعويض ذلك ولرفع كفاءته الى المستوى الطبيعي مرة اخرى وجب عليه أن يجمع ويعالج قدرا من المعلومات اكثر س ذي قبل وان يحقق ذلك بسرعة اكبر.

باختصار: كلما ازدادت سرعة تغير البيئة ازدادت حاجة الشاب الى معلومات يعالجها من اجل اتخاذ قرارات سليمة وفعالة ولكن هناك قيوداً وحدوداً ثابتة لمقدرة الانسان على معالجة المعلومات، وقد اكتشف علماء النفس والاتصال ممن اجروا تجارب على ما اسموه "طاقة القنوات" Channel Capacity عند الكائن البشري.

ان الافراط في تحميل عقل الانسان بالمعلومات يؤدي الى انهيار النظام كله[2] لذلك من الضروري الا يثقل القائمون بالاتصال على جمهور الشباب

1- Ibid., pp. 114-115.

2 - Toffler, Op. cit., pp. 311-313.

بقدر كبير من المعلومات ويجب عليهم ان يحرصوا اثناء محاولتهم الاسراع بتحقيق التغيير في المجتمعات النامية على الا يرغموا المستقبليين على معالجة المعلومات بسرعة تزيد كثيرا عما كانت معتادة عليه في مجتمعاتهم السابقة ذات التطور البطيء.

لذلك يجب على الحكومات قبل ان تبدأ في اثارة تطلعات شبابها ان تدرس جيدا مدى الشوط الذي تستطيع قطعه في اتجاه تحقيق هذه التطلعات، كذلك الا تتكدس وسائل الاتصال بالكثير من المعلومات الزائدة عن الحاجة والا يقتصر استعمالها على اثارة رغبات الشباب وتشجيعهم على طلب المزيد، بل يجب ان توضح لهم كذلك كيفية رفع مستوى انجازاتهم، فاذا قامت الحكومات باثارة شهية الشباب دون اشباعها، فسوف يصعب عليها في المرة الثانية اثارة اهتمامهم او الحصول على استجابة سريعة منهم عندما تحتاج لذلك وتقتضي السياسة السليمة وجود قدر من التوافق بين ما يحفز الشباب على تحقيق ما يرغبون فيه وما يمكنهم ان يحصلوا عليه ولكننا نود ان نؤكد انه لا يمكن تحقيق التنمية مالم نبدأ اولا في رفع مستوى طموحات الشباب وحفزهم للسعي وراء النمو القومي والحياة الأفضـــل.

المراجـــع

1 Alvin Toffler, Future Shock (New York: Random House, 1970).

2 Erik Barnouw, The Image Empire (New York: Oxford University Press, 1970).

3 Everett M. Rogers, Modernization Among Peasants: The Impact of Communication (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1969).

4 Herbert Schiller, Mass Communications and American Empire (Boston: Beacon Press, 1971).

5 Lerner, "Toward A Communication Theory of Modernization", in Pye (ed.), Communication and Political Development (Princeton N.J.: Princeton University Press, 1963).

6 Margaret Mead (ed.), Cultural Patterns and Technical Change (Devanter, Holland: LJsel Press, 1953).

7 Mark Slade, Language of Change: Moving Images of Man (Toronto, Montreal: Holt, Rinehart and Winston of Canada, Ltd., 1970).

8 Max F. Millikan and Donald L.M. Blackmer (eds.), The Emerging Nations (Boston: Little Brown, 1961).

9 Paulo Freiro, Pedagogy of the Oppressed, trans. by Myra Bergman Ramose (New York: Herder and Herder, 1970).

10 Rao, Op. cit.

11 William James, Psychology: Briefer Course (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1923).

12 - Wilbur Schramm, Mass Media and National Development (Stanford, California: Stanford University Press, 1964).

الاعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشبـــاب في مجتمـــع متغـــير

الدكتور محمد عزالدين بطروخه*

ان وسائل الاعلام او الاتصال بالجماهير الواسعة تضع للناس مقاييس بها يعرفون العالم ويحكمون عليه، ثم يتوصلون بأسلوبهم الخاص في التقنين والتحقيق، ولوسائل الاتصال بالجماهير اساليبها المعينة في الاتصال بنا والتأثير فينا ولكل وسيلة اسلوبها الخاص المتميز في اجراء الاتصال. أما الرسائل التي نتلقاها والكيفية التي بها ننفعل تلقاء هذه الرسائل فأمر يختلف باختلاف وسيلة الاتصال والمجتمع الذي نوجد فيه

وان جميع وسائل الاتصال بالجماهير لتضطلع على نحو او آخر بوظيفتين هما تكوين الرأي العام وارشاده، كما انها تسلي وتبيع، وهاتان الوظيفتان تؤديان بصفة مستمرة وبطريقة مباشرة او غير مباشرة،ويمكن القول بصفة عامة ان هاتين الوظيفتين تغيبان عن انتباهنا الواعي وهذه من اهم النقاط التي سنتعرض لها فيما بعد.

ولنبدأ اولا بذكر حاجات الشباب في مجتمع متغير والتي تتلخص فيما يلي:-

أولاً: معرفة تاريخ وفلسفة القيم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الذي ينتمون اليه

(*) كلية الآداب. قسم الاعلام. جامعة الملك سعود. الرياض.

ثانياً: الفهم الواعي لعملية التغيير Process of change نفسها بما في ذلك ديناميكية وسيكولوجية التغيير والفرق بين التغيير البناء والتغيير الهدام.
ثالثاً: دراسة التيارات الفكرية المعاصرة والتي قد تؤثر على المعتقدات الأساسية للشباب خيرا او شراً مع الاشارة الى تأثير هذه التيارات على القيم الأساسية للمجتمع الذي نعيش فيه.
رابعاً: مناقشة المشاكل الخاصة بالشباب ودورهم في بناء المجتمع، وأعني بذلك ما تتوقعه الدولة منهم وما يتوقعون هم من الدولة.
خامساً: التسلية والترفيه.

هذه هي النقاط العريضة التي نبدأ الآن في دراستها بشيء من التفصيل:

١ ـ ان من اهم وظائف الاعلام التعريف بتاريخ وفلسفة القيم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع العربي كله، تلك الوظيفة التي تعرف في الغرب باسم بناء الوعي القومي National Consciousness او بناء الأمة Nation Building وهذه الوظيفة من الأهمية بمكان في المجتمعات النامية وهي تركز في المقام الأول على تخطي حدود القبيلة او القرية الصغيرة المحدودة وتطوير الشعور بالانتماء الى الأمة او الدولة كلها، ولا يتأتى هذا الا عن طريق التعريف بالعوامل المشتركة التي تجمع بين القبائل والعشائر والقرى المختلفة، وهذا هو ما يعنيه استاذ الاعلام المعروف ولبرشرام عندما يتحدث عن تحويل شعور المواطن من Micro الى Macro Perspective وطبعا هذا لا يعني اطلاقا القضاء على الأحاسيس القبلية او المحلية او الروابط الأسرية بل التعريف بمساهمة هذه الروابط والمجتمعات في بناء المجتمع الكبير الذي يضم فيما بينها ويوحّد ويصوغ هذه التقاليد ثم يصهرها في قالب قومي واحد ينتمي اليه الجميع.

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الاسلام قد قام بهذه المهمة وركز عليها قبل اختراع الاعلام الحديث، ولعل الآية القرآنية التي تشير الى القضاء على المنافسات والمناحرات القبلية ووحدة الأمة الاسلامية هي خير دليل على ذلك اذ يقول الله عز وجل: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا**﴾ وفي الحديث الشريف «لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى».

ووظيفة الاعلام الحديث في التعريف بتاريخ وفلسفة القيم التاريخية والاسلامية التي يقوم عليها مجتمعنا هي اقصر الطرق لتوحيد الأمة بالمعنى القومي والمعنى الديني وان ترسيخ هذه القيم والمبادىء في اذهان الشباب لهو من اهم وظائف الاعلام وقد فشل الاعلام الحديث للأسف في هذا الصدد حتى اننا نرى الأمة العربية والاسلامية منقسمة على نفسها في حروب ومنازعات وخلافات لا تفيد الا اعداء العروبة والاسلام ولعل اكبر شاهد على ذلك هو ان سياسة اسرائيل الخارجية تعتمد على ثلاثة عوامل على حد تعبير رئيس وزرائها الأسبق دافيد بن جوريون: اولها استمرار التناحر والخلافات في صفوف الأمة العربية وتشجيع النعرات القبلية والمحلية الضيقة: وثانيها احتكار صداقة الولايات المتحدة ومساعدتها لاسرائيل دون سائر بلاد المنطقة، وثالثها عدم المواجهة العسكرية المباشرة مع الاتحاد السوفييتي أو أية دولة اوربية اخرى بدون جر الولايات المتحدة الى جانب تل ابيب.

ولكي يترجم الاعلام هذه الفكرة الى حقيقة عملية يجب ان تركز وسائله على العوامل المشتركة التي توحد صفوف العرب والمسلمين اضافة الى القيم والمبادىء المحلية وان يكون هذا عن طريق برامج تلفزيونية او اذاعية او مقالات صحفية تحلل مدى الارتباط بين القبيلة او البيئة المحلية

والدولة من جهة ثم بين الدولة وسائر الدول العربية والاسلامية من جهة اخرى، ولا اعني ان توجه مثل هذه البرامج الى الشباب عن طريق محاضرات او كتب تاريخية او دينية او فلسفية فقط، اذ ان فعالية هذه البرامج الجادة محدودة بل يجب ان تقدم بطريقة تجذب انتباه المشاهد على غرار البرنامج التلفزيوني الناجح الذي قدمته شبكة الـ N.B.C الأمريكية في العام الماضي والذي عالج تاريخ ودور الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين في الحرب العالمية الثانية بعنوان Winds of War ، ذلك البرنامج الذي شاهده اكثر من ثلاثين مليون امريكي والذي ركز على الروابط التاريخية والفلسفية والدينية المشتركة في المجتمع الغربي ، وقد كشف استطلاعان للرأي العام قبل وبعد البرنامج عن ارتفاع نسبة الوعي بين المشاهدين بدرجة كبيرة وخاصة فيما يتعلق بدرجة التقارب والتشابه بين دول المعسكر الغربي واهمية حلف شمال الأطلسي والوحدة بين اعضائه

٢ ـ ان شرح معنى التغيير الذي تمر به كافة المجتمعات الحديثة وكيف تواجه صعوباته لهو من اهم وظائف وسائل الاعلام وخاصة بالنسبة لجمهور الشباب وحيث ان التغيير هو سنة الحياة او كما قال ارسطو "ان التغيير هو الشيء الوحيد الدائم في الحياة" Change is the only permanent feature of life وبما ان التغيير قد يكون من اهم اسباب القلقلة او الاضطراب في المجتمع فان على وسائل الاعلام ان تناقش وتحلل مقومات التغيير البناء واسبابه وكيف نتفادى ما يعرف في الغرب باسم "Generation Gap" او الفجوة بين الأجيال وان نجاح الاعلام في تحقيق هذه الغاية يقضي على التنافر alienation بين الكبار والشباب ويسهل على كل طائفة فهم شعور وحساسيات الأخرى الأمر الذي يؤدي الى خلق الشعور بالانسجام بين الأجيال المختلفة وطبعا لا نعني بهذا الانسجام القضاء على كافة الفروقات وانما تفهم اسبابها وشعور الآخرين حتى لا تتسع الهوة، ويمكن ان تعالج

هذه الفروقات في برامج تلفزيونية واذاعية توثيقية او فكاهية وفي الولايات المتحدة قامت شبكة C.B.S في السنوات الثلاث الماضية بتقديم واحد من انجح برامجها وهو فكاهية الـ Jeffersons التي مازالت تعرض على شكل مسلسلة اسبوعية والتي تركز على تطلعات وآمال ومشاكل الأجيال المختلفة في العائلة الواحدة، كما قام اخصائي البرامج التوثيقية المعروف Bill Moyers بعمل سلسلة من المقابلات والحوارات مع قادة الرأي في السياسة والاقتصاد والتعليم ورجال الاعمال لتحليل مشكلة التغيير وكان يعقب كل حلقة ساعة من الحوار المباشر على الهواء بين المختصين على الشاشة ومشاهدي البرنامج تليفونيا، ولعل انجح برنامج في هذا المجال هو برنامج Donahue الذي تقدمه شبكة الـ .N.B.C في الساعة التاسعة من صباح كل يوم والذي يركز على مشاكل المرأة وشئون العائلة اليومية في التأقلم والتغلب على صعوبات التغيير ويستضيف البرنامج كل يوم اخصائيا كبيرا يعالج الجديد والمتغير في الطب او الزراعة او العلوم الاجتماعية أو أي موضوع آخر يساعد المشاهد على فهم وتحليل ما يجري حوله من تغييرات سريعة

ولعل دور وسائل الاعلام هنا في المملكة العربية السعودية وفي هذا المجال بالذات وفي الفترة الحالية لهو من اهم وظائف وسائل الاعلام إذ أن الطفرة الكبرى التي نراها ونلمسها يوميا تمثل تغييرا هائلا يحتاج الى التحليل والتعليق والشرح الكثير.

ويجب ان نأخذ في عين الاعتبار هنا ان تقبل التغيير ليس بالسهل على الطبيعة البشرية بل ان علماء النفس يجمعون على ان تغيير الميول والعادات للتكيف مع التطورات الحديثة لا يمكن ان يتم الا عبر أجيال طويلة ووسائل الاعلام هنا ليست الا عاملا مساعدا، أما العامل الأساسي فيكمن في محيط الأسرة والمدرسة لهذا وحتى تتم العملية بنجاح يجب ان يوجه الاعلام

اهتمامه الى الأب والأم والمدرس والذين هم بدورهم يؤثرون على النشء بطريقة مباشرة وفعالة.

٣ ـ تشكل التيارات الفكرية المعاصرة عاملا من اهم العوامل التي تؤثر في حياة الشباب في مجتمع متغير وتأثير مثل هذه التيارات والمعتقدات الحديثة ضعيف نسبيا على الشيوخ والكبار الذين رسخت افكارهم وعاداتهم ووسائل الاعلام وخاصة السينما والتلفزيون فعالة جدا في نقل اخر تطورات التقاليع والعادات مما يدفع الشباب الى قبولها وتقليد غيرهم في الملبس والحديث والسلوك الاجتماعي فمثلا الهيبز والروك آند رول والكوميونز Communes واطفال الزهور Flower children التي انتشرت في العالم خلال الستينيات وأوائل السبعينيات وفي الدول النامية وخاصة تلك التي تحافظ على تقاليد دينية او اجتماعية تعارض مثل هذه التيارات، في مثل هذه الدول يتعين على وسائل الاعلام ان تشرح وتحلل هذه التيارات الفكرية والاجتماعية ومدى تعارضها او انسجامها مع تقاليد وقيم مجتمعاتها بدون اللجوء الى اسلوب التنفير الممل بمعنى ان يكون العرض والتحليل موضوعيين ومتوازنين وان يكون الدرس المستقى من البرنامج واضحا من سياق العرض او التمثيلية متفاديا الشعارات والعبارات الرنانة والأمثلة القديمة، ويحضرني بهذه المناسبة برنامج عن انتشار المخدرات بين شباب الجامعات في الولايات المتحدة قدمته شبكة تلفزيون الـ .A.B.C واكثر ما استرعى انتباهي هو ان ضرر المخدرات قد اتى ذكره على لسان المدمنين انفسهم واهلهم ولم يأت عن طريق موعظة من مسئول كبير او خبير مسن، وفعالية مثل هذه الطريقة هي ان الشباب الذين يشاهدون البرنامج يتقبلون ما يسمعونه من زملائهم على الشاشة اكثر من تقبلهم لنفس الكلام من اشخاص يكبرونهم سنا او خبرة إذ أن ما يعرف باسم الـ Peer group او جماعة الرفاق لها اكبر التأثير على الشباب.

وفي العالم العربي خاصة ودول العالم الثالث عامة يجب أن يولي الاعلام هذه المهمة عناية خاصة إذ أن مرحلة النهوض ومسايرة ركب الحضارة قد يجر معه مشاكل ومعتقدات غريبة يجب ان تتصدى لها وسائل الاعلام وتميز الغث من السمين فيها حتى لا ينساق شبابنا وراء التقليد الأعمى الذي قد يفسد من قيمه وتقاليده الطيبة، ويجب ان نشير في هذا المجال الى المناقشات التي دارت ولا تزال تدور في اروقة اليونسكو حول الاستعمار الثقافي والغزو الاعلامي الذي تعاني منه الدول النامية والذي تفرضه عليها الدول الغربية المتقدمة ولا يمكن محاربة هذا الاستعمار ـ في نظري ـ الا عن طريق التصدي لهذه الغزوات الثقافية وشرح ابعادها وقبول الايجابي منها ورفض السلبي وقد اثبتت التجارب ان الرقابة والتشويش وغيرهما لا يمكن ان تحل المشكلة وانما المعالجة الموضوعية والمناقشة الفعالة اجدى بكثير من الأساليب القديمة ونحن نعلم ـ على سبيل المثال ـ انه رغم الرقابة الشديدة والتشويش الذي يقوم به الاتحاد السوفييتي ضد وسائل الاعلام الغربية فان العادات الغربية والملابس والبرامج التي تأتي من الولايات المتحدة لها شعبية كبيرة في الدول الشيوعية اذ ان كل ما هو ممنوع مرغوب، فعلينا ان نستوعب العبرة من هذه التجربة والا تخفي وسائل اعلامنا ما يجري حولنا وتدفن رأسها في الرمال كالنعامة بل تذكرها وتشرحها ثم تتصدى لها بطريقة شيقة ومسلية تجذب الشباب الى البرنامج وتجعل تقبله للرسالة ممكنا بل ومحتملا.

٤ ـ ان اكثر ما يهتم به الانسان هو ما يخص حياته الشخصية لهذا فان تركيز وسائل الاعلام على المسائل الدولية والقومية الكبرى على مافي ذلك من فائدة عامة الا انه اذا لم يركز الاعلام على العلاقة بين المشكلة الكبرى المطروحة للبحث والتحليل وحياة المشاهد او المستمع أو القارىء فلن يكون هناك اثر كبير للبرنامج او المقال، والدليل على ذلك ان الشعب الأمريكي لم يلق اهتماما كبيرا للحرب الفيتنامية في مراحلها الأولى وبدأ اهتمام الناس

يتزايد عندما ادركوا احتمال تأثير هذه الحرب على حياتهم اليومية وحيث ان الشباب يمثل اكبر شريحة في المجتمع، لهذا يجب على وسائل الاعلام ان تعالج المشاكل القومية من وجهة نظر هذه الشريحة الكبرى وتحلل تأثيرها على حياتهم اليومية، ومستقبلهم، والاعلام في الدول النامية يعاني من غياب هذا التحليل الواقعي، وكثيرا ما يلجأ الى الشعارات والعبارات الرنانة ويهمل العلاقة الخاصة بين المشكلة الكبرى وما يواجهه الشباب في حياتهم العملية والاجتماعية والشخصية

٥ ـ تعتبر وظيفة التسلية والترفيه من اهم ما يجذب الشباب الى وسائل الاعلام وخاصة في البرامج التلفزيونية والاذاعية وتدل الاحصائيات الأمريكية التي قامت بها لجنة الاتصال الفيدرالية على أن اكثر س ٨٧٪ من محتويات هذه البرامج تدخل ضمن نطاق التسلية والترفيه ولهذا يجب ان نوجه عناية خاصة الى محتويات هذه البرامج وخاصة فيما يتعلق بتأثيرها على قيم وسلوك الشباب، وتدل الدراسات العلمية على ان تأثير وسائل الاتصال اكثر فعالية في تأكيد وتثبيت المعتقدات والقيم التي يؤمن بها المشاهد اكثر بكثير من فعاليتها في التغيير السلوكي ولهذه الحقيقة اهمية خاصة في المجتمعات النامية اذ ان المحافظة على القيم التاريخية والدينية في خضم عملية التغيير الذي يواكب الانتقال من مرحلة النمو الى مرحلة التقدم هي أمر حيوي لهذه المجتمعات.

الاعـــــلام
وبرامج الخدمة العامة للشباب

الأستاذ عبدالله شقرون*

المقدمـــــة:

أولاً: ماذا يمكن أن تؤديه وسائل الاعلام فعلا للاستفادة من طاقة الشباب في خدمة مجتمعه؟

ثانياً: هل بإمكان الاعلام ان يساعد الشابات والشبان على الاستفادة ـ وطنيا وقوميا ـ من امكانات المجتمع الذي يعيشون فيه؟

ثالثاً: هل للاعلام دور محرك في جعل الشباب اكثر فعالية واستجابة للمساهمة في تطوير المجتمع وتنميته؟

رابعاً: ماذا يمكن أن يدركه رجال السلطة العمومية من الالتجاء الى اجهزة الاعلام لتوجيه الشباب افرادا ومجموعات من اجل المساهمة العملية في الخدمات والحملات الاجتماعية؟

ان هذه الأسئلة التي نستهل بها هذا العرض يكمل بعضها بعضا، وتجد حقيقتها مجسمة في محاولة التعرف شيئا ما على دور الاعلام ووسائله في تسخير جهد الشباب لتحقيق التضامن الوطني والتعاون القومي، وانجاز مخططات التنمية وكلها موضوعات طالما اتجهت البحوث والدراسات الى معالجتها على شتى الصيغ والطرق، الا ان الاهتمام هنا منصرف قصدا الى الشباب في مرحلة العمر التي تأتي مباشرة بعد اكتمال الطفولة وقبل اطلالة سن الكهولة

---

* الأمين العام لاتحاد الاذاعات. تونس.

الاعلام. أصناف وأشكال:

من المعلوم ان أجهزة الاعلام متعددة الأصناف بتعدد المبتكرات، ومختلفة الأشكال باختلاف البيئات. ولذلك فان التركيز بالنسبة الينا ينصب بالخصوص - وبصفة مشتركة - على ما يلي:

أولاً: الاتصال غير المباشر:

أ - التلفزيون.

ب - الصحافة (جرائد ومجلات).

جـ - الراديو

د - المنشورات والملصقات.

ثانياً: الاتصال المباشر عبر:

أ - المحاضرات والندوات.

ب - المسرح والفُرْجات.

جـ - التجمعات الشعبية.

د - الأحاديث والخطب.

هـ - النوادي العمومية.

- وكالات توزيع الأنباء (المكتوبة والمصورة).

وهذا التفصيل ليس حصرا لهذا المجال.

ومن المعروف ان الكتاب ، والسينما، والكاسيت، والفيديو وما اليها، كلها وسائل اعلامية وجيهة.

وكلنا نعلم ان اجهزة الاعلام في الوطن العربي منها ما هو - تنظيمي قطاع عام. اي رسمي تابع للدولة، ونخص بالذكر في هذا الصدد التلفزيون والراديو ومنها ما هو خاضع لرقابة الدولة ولو كان قطاعا

خاصا، ونعني ـ والحالة هذه ـ السينما. اما الصحافة المكتوبة فانها تختلف باختلاف الأنظمة القانونية الجاري العمل بها في كل قطر عربي على حده، لكنها ـ مهما كان امرها ـ تتمتع في العادة بقانون يميزها. وغالبا ما تكون قطاعا خاصا تجاريا او ذات شخصية اعتبارية ومتمتعة بحرية التصرف بصفة عامة وفيما يرجع الى وكالات الأنباء (المكتوبة او المصورة) تجدر الاشارة الى انها ـ وفي العالم العربي بصفة عامة ـ تابعة لنظر الدولة وسلطانها، فالدولة هي التي تدعمها ماليا واداريا في معظم الأحوال، بل ان الدولة في الأعم هي التي تصرف عليها جملة وتفصيلا، ولا داعي الى تمديد الكلام بخصوص الوسائل الاعلامية الأخرى.

الاعــلام والسلطات العمومية:

غير خاف ان هناك جهة حكومية مكلفة بالاعلام في كل دولة عربية ، وهي ـ في العادة ـ وزارة الاعلام ، ولهذا فان السلطات العمومية الأخرى وفي طليعتها سلطات الداخلية، والبلديات، والأمن العام، تتعاون حتما مع تلك الجهة الحكومية وبالتالي مع اجهزة الاعلام الوطنية، كلما دعت الحاجة الى ذلك، خدمة للصالح العام، ومما لاشك فيه ان مشاركة الشباب في الحملات الاجتماعية الكبرى تدعو دائما لمثل ذلك التعاون على قدم المساواة الذي يقوم بشأنه تكتيل الجهود في شتى المناسبات.

والنشاط اليومي للسلطة المحلية محتاج فعلا الى دعم الاعلام له ومساندة الاعلام اياه، فلابد في العصر الحديث من خلق علاقة تواصل بين الادارة والمُداريين، ولابد من اطلاع العموم على نشاط ادارته المحلية بصفة مستمرة. وهنا يتجلى دور وسائل الاعلام بشتى اصنافها واشكالها، كما ان الاعلام ـ هو الآخر ـ يعتمد دوما على السلطات العمومية والمحلية في اداء مهامه

وهناك شتى القوانين والتنظيمات والأعراف التي تستلزم قيام ذلك التآزر المفيد حقا، واذا ما التجأت السلطات العمومية ـ مركزية كانت أو محلية ـ الى وسائل الاعلام لمساعدتها على تبليغ رسالة الواجب الى الرأي العام، او الى الشباب مثلا، فان هذا يكون حقا من حقوق هذه السلطات على وسائل الاعلام ما دامت خدمة المصلحة العامة هي الهدف، وتوجد شتى الطرق والتقاليد قائمة في هذا المضمار ليس فقط مع التلفزيون والراديو بوصفهما في الدول العربية جهازين حكوميين للاعلام او مع وكالات الأنباء الوطنية طالما هي ايضا بتلك الصفة الرسمية.. بل وكذلك مع الصحافة فضلا عن بقية وسائل الاعلام.

الشباب..لمـــــاذا؟

لكن لماذا التركيز بخاصة على الشباب ولماذا محاولة تخصيص هذا الشباب بالاهتمام واستعمال وسائل الاعلام لامالته نحو القيام بالمتعين عليه لفائدة تطور وطنه وقومه وتنمية مجتمعه؟ فهل هناك فوارق جوهرية بين الشباب ومن هم دون الشباب أو بعد مرحلة الشباب فيما يتعلق بأداء الرسالة الوطنية والقومية؟

وهل توجد حقا وصدقا دواع وجيهة تحمل المجتمع والرأي العام والمسئولين أكيد الحمل على محاولة توجيه الشباب توجيها معينا؟ اليس الشباب قادرا بنفسه على السير في اقوم السبل واسلمها فكريا واجتماعيا وسلوكيا؟

ان السعي الى الاجابة الشمولية في هذا الشأن يفرض التأكيد على مايلي:

أولاً: ان المقصود بالشباب في هذا العرض هو الشباب العربي.

ثانياً: ان البيئة المستهدفة والحالة هذه هي بيئة المجتمع العربي.
ثالثاً: ان التحدث عن هذا الشباب داخل هذا المجتمع يضع في مقدمة الاعتبار:

أ ـ الدين الاسلامي الحنيف اساسا وركيزة في السلوك والاستلهام والتصرف.
ب ـ الثقافة العربية الاسلامية منبعا ورصيدا
جـ ـ التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعموم المواطنين، وتطوير البيئة العربية من التخلف وانقاذ الانسان من الفقر والجهل والمرض، هي الهدف الأسمى من كل عمل يدعى الشباب الى ادائه
د ـ كون العالم الحديث المتطور الذي يعيش فيه هذا الشباب واقعا لا يمكن تجاهل ما يعج به من التيارات الفكرية والمبتكرات التكنولوجية

فبناءً على هذه المعطيات المجملة يمكننا ان نوضح حقيقة غير خافية على بالكم ولكن يحس الصدع بها.

ان الشباب العربي الذي يتعلم في المدارس والمعاهد والجامعات ويطالع الجرائد والمجلات، ويشاهد التلفزيون اخبارا وبرامج ويستمع من الراديو الى شتى المواد ـ اخبارية وغير اخبارية ـ ويذهب الى قاعات السينما حيث ينغمس من خلال افلامها في اجواء هي في الغالب الأعم لا تمت الى مجتمعه بصلة. شباب تائه، شباب حائر، شباب قلق، شباب لا يعرف لشخصيته هوية ولا يدري لنفسه رأسا ولا أساسا

ان الشابات والشبان العرب والمسلمين الذين نعايشهم ويعايشوننا اليوم يتدرجون في الوعي والتمييز، والتعرف على ما يحيط بهم وما هم فيه واقعون، فيلاحظون ـ بدون شك ـ ان هناك فرقا بين مجتمعهم العربي وبين

عدد من المجتمعات المعاصرة التي يقرأون عنها في الصحف ويتتبعون مجرياتها في الراديو والتلفزيون. فيندهشون. !

نعم. لا يمكن ان نعتبر المجتمع بدعا من المجتمعات الاخرى ليس فحسب خلال أحقاب التاريخ المتلاحق في حلقاته الماضية، بل وايضا خلال هذا القرن (العشرين للميلاد).

ان شباب بلدان اوربا وامريكا واليابان، وسواها.. كان في وضع شديد من القلق والحيرة والاضطراب اثناء الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، ما بين النصف الثاني من سنة ١٩٤٥م واوائل الخمسينيات. وكذلك الشأن لا سيما في اوربا بعد الحرب العالمية الأولى ما بين سنة ١٩١٨م وأوائل العشرينيات، كما ان مناطق اخرى في مختلف انحاء العالم قد عرفت في القرن الحالي فترات تاريخية صعبة وعاش شبابها عصيب الظروف ويكفي أن نشير الى حروب التحرير والاستقلال ومعاركها التي خاضتها البلدان العربية شرقا وغربا ضد المستعمر، وعاش الشباب العربي، معها واثرها، حيرة وقلقا بالاضافة الى المآسي التي تقاسيها الدول العربية من سرطان الصهيونية واعداء الأمة العربية، ومن المعلوم ان حرب فيتنام أدت الى انعكاسات خطيرة على معنويات الشباب وسيرته وتصرفاته.. في الولايات المتحدة الأمريكية كما ان تقلبات اخرى للشباب حدثت هنا وهناك في اوربا وخاصة في فرنسا.

واذا كان الشباب العربي في حيرة معنويا وفكريا، امام سلسلة الأهوال والكوارث التي يقاسيها وطنه الكبير وشعبه المناضل في كل مكان، فانه اي الشباب العربي يود دون شك ان يدري ما يتعين عليه اداؤه خروجا من تلك الأهوال والكوارث من (التخلف والتأخر والتفرقة والتمزق)، وجنوحا الى ملء تفكيره وما قد يكون له من الفراغ في العمل المفيد والمجدي لتطور قومه وبلاده.

وهذا فعلا هو دور الاعلام وواجب الاعلاميين بقدر ما هو دور التربية والتربويين والمسئولين عن رعاية الشباب في كل بلد، بل ومسئولي السلطة العمومية والقائمين على النظام والأمن في المجتمع.

وليس هناك النظام والأمن على الأرض فقط بل ايضا ـ وبالأولوية ـ لابد من توفير النظام والأمن في الفكر والتفكير، في الذهن والتخيل، بل وفي المخ!

من اللازم ان تكون للكبار الثقة المثلى والمخلصة في الشباب وان يجعلوا من الشباب صديقا مشاركا لهم في تفهم الواقع حتى يكون هو ايضا صديقا مشاركا لهم في خدمة المجتمع والصالح العام.

وكلنا نعلم ان الدعوة الاسلامية، في فجر انطلاقها، قامت بهمة الشباب، ولنتذكر جميعا ان اول منتدى اعلامي في الاسلام هي دار الشاب الأرقم بن ابي الأرقم الذي كان فتى يقظا برسالة محمد (ﷺ) فكانت داره هذه أو هذا المنتدى الاعلامي المتواضع مسجدا ومدرسة ومجلسا شوريا في آن واحد، يجتمع فيه حول الرسول الكريم ولأزيد من سنتين شبان يافعون هم: علي، وشقيقه جعفر، وطلحة، والزبير، والبراء. وسواهم.

ان الاعلام اداة فعالة لجلب ثقة الشباب وتعاون الشباب اذا ما احسن استعمال هذه الاداة، كما انه اي الاعلام قادر ـ اذا ما اسيء استعماله ـ على خلق الشحناء والبغضاء بين الشباب وبقية افراد المجتمع.

والاعلام هنا بمعناه الشامل الجامع الذي يدخل فيه الحديث العمومي، والخطبة، والاتصال المباشر وغير المباشر

الشباب واللغة الاعلاميـة:

مما لاشك فيه ان المصلحة الوطنية لكل قطر، والمصلحة القومية لكل امة، تقتضيان ان يكون هناك تفاهم عميق وصادق بين مختلف طبقات المجتمع. ولهذا كانت هناك لغة اعلامية خاصة لذلك التفاهم، قد يكون مضمونها احيانا افصح من شكلها، وتتجلى في المقصود الذي نريد ان نعبر عنه، والطريقة التي نعبر بها.

فسواء تعلق الأمر بالراديو أو التلفزيون، أو المقال الصحفي أو بالخطاب أو الخطبة، فان التجربة المستقاة من الممارسة اليومية في التحدث الى الغير، وبصفة خاصة الى الشباب تملي على المتحدث، كيفما كانت وسيلة التحدث (تمثيلا، أو رمزا، أو كلاما، أو تصويرا الخ) ان يلتزم التواضع في القول والتوجه والاشارة.

فلنفرض اننا معشر الاعلاميين أو المربين، أو ممثلي السلطة العمومية، نريد ان نتحدث الى جمهرة من الشابات والشبان، طلبة أو حرفيين أو مزارعين أو موظفين. أو خليطا من هؤلاء جميعا، ونسعى من مخاطبتنا اياهم ان يكونوا معنا فعالين في اداء واجب ما أو خدمة عامة بل وقد يكون بعضنا مرشدين في التوجيه الاخلاقي أو الوطني أو الاجتماعي. فبأية صيغة لغوية سنتوجه اليهم؟ اي ماهي العبارات التي سنستعملها للوصول الى الغاية المتوخاة؟

نعم قد يوجد شباب يكون مُشِطًا في تصرفه، أو سالكا ـ في نظرنا مسالك نعتبرها نحن من قبيل الاخلال بالاستقامة الوطنية أو القومية أو نراها نوعا من الجهل والوقاحة وقد نصفها بالانحراف والضلال.

فكيف اعلاميا سنقوم بتبليغ رسالتنا الخيرة عبر المحاضرة أو الخطبة أو من خلال الراديو والتلفزيون والنادي العمومي، وعبر المنشورات والملصقات. ؟

لقائل ان يقول ان الموضوع هنا اصبح ـ والحالة هذه ـ من قبيل التعامل على اساس مبادىء علم النفس، والتحليل السيكولوجي، واللباقة فنبادر الى التأكيد بأن الخطاب الاعلامي هو فعلا خاضع ـ سعيا الى ادراك المقصود منه ـ الى تلك المبادىء التي دعا الاسلام اليها منذ زمن بعيد: مبادىء استعمال الحكمة والتروي في التواصل بين الأفراد والجماعات. من غير ان يكون هناك استعلاء أو تكبر في التخاطب والتبليغ أو اتهام جزافي، أو توبيخ أو ترهيب.

إن تبليغ رسالة ما الى عموم الشباب ـ وهو العملية الاعلامية ـ يقتضي من المبلغ التعقل والتواضع والاقناع الرزين: فلا اصدار اوامر صارمة ولا صياغة اتهامات، ولا تهديد أو وعيد.

ومن حسن التعامل اعلاميا بين الكبير سنا ومسئولية واليافع عمرا وحنكة عدم استعمال ما يسمى في التعبير الحديث الروح الأبوية فان الشباب يرفض ـ ولو في قرارة نفسه ـ ان يعامل على اساس روح العطف والحنو والرأفة تماما كما يرفض معاملته باستعلاء وكبرياء وغطرسة؛ فكلا الاسلوبين يعتبره الشباب تنقيصا واحتقارا وصدق الله العظيم اذ يقول في محكم الذكر الحكيم **﴿إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**[1]، **﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. ﴾**[2]

---

١ ـ سورة فصلت. الآية: ٣٤

٢ سورة النحل. الآية: ١٢٥

اننا امام رغبتنا في اشراك الشباب في اداء واجب من واجبات الخدمة العامة، يتعين علينا استعمال الحكمة من غير فظاظة وانتهاج سبيل الاقناع الحسن ليدرك هذا الشباب - بالحجة والبرهان - ان القيام بذلك الواجب عمل خالص وحقيقي من اجل تقدم المجتمع وتطوره اقتصاديا واجتماعيا.

ومن الجلي ان جلب الشباب الى المساهمة في الخدمة العامة عن طريق العملية الاعلامية هو تحقيق لهدف سام من اهداف استخدام الاعلام بالدول النامية، الا وهو دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية فيها.

الخدمة العامة والاعلام:

ان الخدمة العامة التي نأمل من شباب كل قطر المساهمة في دعمها بصفة ايجابية والتي قد تتجسم - مثلا - في مساندة برامج التشجير واصلاح التربة، وفي خوض غمار المعسكرات التي تنظم شعبيا وعلى مستوى الشباب لبناء المدارس والجسور، وتعبيد المسالك والطرق، وتنظيف الحواضر والقرى، وكذا في توعية العموم، اثناء اسبوع المرور بأساليب الوقاية من آفات السيارات واهوالها، وفي حملات محو الأمية بين أفراد الشعب ـ ما هي في واقع امرها إلا مظاهر عملية تدخل في نطاق ما نطلق عليه عادة مصطلح التنمية Development فليست الخدمة العامة مجرد دعوة للمشاركة الجماعية والعمل المدني ، ولكنها ايضا غاية نبيلة لإحداث تطوير يعود بالنفع فكريا على المشاركين في اذكائه بقدر ما يعم خيره مجالات التنمية.

وعندما نتحدث عن الوطن العربي او عن ترقية هذا الوطن وتنميته فاننا نعني جميع الدول العربية لأنها - كافة واصطلاحا - تسير في طريق النمو وتبذل جهودا متوالية للتقدم والرقي، وانخراط شبابها في الخدمة العامة مسعى تنموي ووطني وقومي مؤكد. ونحن في هذا الصدد نعني شباب

السودان، والصومال، واليمنيين، وجيبوتي بقدر ما نعني شباب مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، ودول الخليج العربية ودول المغرب العربي.

وغني عن البيان ان الثروة البترولية لبلد من هذه البلدان الشقيقة لا تعني ان شبابه في حل من المساهمة في اعمال الخدمة العامة او ان سلطاته العمومية في غنى عن هذه المساهمة.

ان ظواهر التخلف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية متنوعة وعلى اصناف وقد فصلها العالم الاجتماعي "ايف لاكوست" (Yves Lacoste فيما يلي:

- ضعف الزراعة
- قلة المواد الغذائية
- ضعف الدخل الوطني المتوسط ومستويات العيش.
  نقصان الصناعة.
- ضعف استهلاك الطاقة الميكانيكية
- وجود تبعية اقتصادية.
- الارتفاع المشط في مستوى القطاع التجاري.
- انحطاط الهياكل الاجتماعية.
- ضعف نمو الطبقات المتوسطة
- ضعف الاندماج الوطني.
- عدم القدرة على التشغيل.
- الارتفاع المطرد في نسبة المواليد.
- الوضع المزري لخدمات الصحة ولو كان هذا الوضع في طريق التحسن.

وقد شَدَّ هذا العالم الاجتماعي في عداد ظواهر التخلف انتباه الدول المعنية الى وجود تلك الحالة المؤسفة من الخصائص وطموحها الى التخلص منها.

هذا وحتى يمكن التخفيف شيئا ما من حدة تلك الظواهر في اي بلد من البلدان المبتلاة بالتخلف وتشكل نسبتها الثلثين من دول العالم، قد يمكن الاعلام القيام بدور ما فيها او على الأقل في ايقاظ الغافلين عن واجبهم في التكافل، من اجل النهوض والتغيير اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ما دام الاجتماعيون يرون ان في مقدمة شرط الفكاك من التخلف احداث تغيير حقيقي في عقلية شعب البلد المبتلى بذلك التخلف على ان يكون تحقيق التوعية في هذا السبيل منطلقا من ذاتيته، من قادته، من سلطاته العمومية والتربوية والاعلامية. من تعاون ابنائه رجالا ونساء، شيبا وكهولا وشبابا، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وقد دلت التجربة في عدد من البلدان السائرة في طريق النمو على ان امدادها بالمساعدات المالية والآلات عمل غير كاف في حد ذاته لأنهاضها إذا لم تكن هناك عملية توعية بين اهلها حاكمين ومحكومين في تعاون واخلاص.. ومن هنا نفهم جيدا المهمة الملقاة على وسائل الاعلام بما فيها الوسائل العصرية والامكانات التقليدية. ان الوضع المنحط لأي مجتمع باستطاعة هذه الوسائل التنبيه الى خطورته ومساوئه سواء كان جمودا فكريا او تأخرا ثقافيا، او تقاعسا اجتماعيا، او فقرا اقتصاديا

لقد قامت فرقة من الباحثين كان من جملتهم عالم اجتماعي يسمى دانيل ليرنر Daniel Lerner بدراسة في هذا المجال، ونشر السيد ليرنر هذا كتابا عن نتائج اعمالها اعتمادا على ابحاث كانت قد اجريت في عدة بلدان من الشرق الأوسط، واثبت من خلالها ان لبعض الرجالات او الشخصيات

بهذه البلدان الكلمة المسموعة في المجتمع وبالتالي الكفاءة اللازمة لتكييف البيئة، والفعالية المطلوبة للتغيير الشامل بحيث ان هناك استعدادا نفسيا بين افراد الشعب لتقبل التغيير الذي من شأنه ان يساعد على الخروج من التخلف اذا ما احسن استخدام نفوذ هؤلاء.

وبين ان هناك علاقة فعلية بين مختلف عوامل التنمية من جهة، وبين اقامة وسائل النشر الجماعية من جهة اخرى، على اعتبار ان وسائط الاعلام هي وسائل فعالة وتساعد على الاندماج تدريجيا في حضارة التحديث والتطوير

وقال ان لمعدلات التصنيع، والعمران، ومحاربة الأمية والمشاركة في الحياة الاجتماعية، اثرا وجيها في التوعية بالمجتمع.

ومما لاشك فيه ان مثل هذه الدراسة مفيدة لنا في هذا الصدد لاسيما فيما يرجع الى ابرازها الدور التوعوي، والتوجيهي لتلك الرجالات، او الشخصيات التي لنا أن نصفها بالمرشدة، أو القائدة، إذ بدون هؤلاء قد لا يمكن للسلطات الاعلامية والعمومية والتربوية اشراك الشباب وتوجيه الشباب في العمل من أجل الخدمة العامة.

وقد بين صاحب تلك الدراسة ان هناك ثلاث فئات لهذه الرجالات او الشخصيات وهي:

- الفئة التقليدية.
- الفئة المخضرمة.
- الفئة العصرية.

واشار الى ان المرشدين المخضرمين هم فعلا ذوو النفوذ التوجيهي في المجتمع لأنهم الى جانب كفاءتهم الشخصية يقرءون الصحف ويستمعون الى الراديو ويشاهدون التلفزيون اي انهم متفتحون على عوالم متعدّدة.

ونضيف نحن ان هؤلاء المخضرمين يكونون في العادة آخذين بالثقافة الوطنية ومحيطين بأسس ديانتهم وأعراف مجتمعهم، زيادة على احاطتهم بجوانب حضارة عصرهم، ويعلمون جيدا ما المقصود بالتنمية وبأهدافها.

ومن حسن حظ المجتمع العربي المسلم ان له شتى الامكانات المتوارثة، لمساعدة المرشدين الاعلاميين على تحقيق رسالتهم، ولقد اشرنا الى وسائل الاعلام التقليدية ولذا فبوسعنا في هذا المقام بالذات ان نلتجىء الى ما لدينا من امكانات التجمع والاتصال لفائدة توعية الجماهير ودعوة الشباب للمساهمة في الخدمة العامة وبرامج التنمية، ونعني بذلك على وجه الخصوص:

أولا: المساجد اينما كانت.

ثانيا: الخطباء والدعاة كلما امكن القيام لأجلهم بالتدريب المناسب لادراك الغاية المتوخاة.

الرسالة والمسئولية:

مصطلح الرسالة The Message هو من جملة المصطلحات المستعملة في علوم الاعلام والاتصال، ونعني بحسب المتعارف عليه ما يجري بين المرسل والمستقبل فهناك دائما من يلقي اي يرسل ومن يتلقى اي يستقبل، وقد درج المنظرون على تعريف الرسالة بأنها المفهوم من الصيغة التالية:
- من يقول ماذا، ولمن، ولأية غاية؟

ونحن في دعوتنا الشباب الى المساهمة في الخدمة العامة يلزم ان يكون - والحالة هذه - اتصال ما بين جانب وجانب، اي ان يكون هناك تبليغ على شكل من الأشكال وان يكون هذا التبليغ ذا محتوى ولغاية معينة. ربما كانت هذه العملية مجسمة في تمثيلية، او صورة او رسم او مقال او شريط او

حوار ـ او خطبة ـ او رمز من الرموز ولكي يكون هناك اتصال يتعين وجود واسطة او وسيلة Medium.

ووسائل الاعلام العصرية منها والتقليدية قد لا تكون المتفردة بالأهمية في حد ذاتها، فانها حتى في البلدان السائرة في طريق النمو متوافرة ففي هذه البلدان الراديو، والصحف والتلفزيون وحتى السينما احيانا، واذا كانت هناك دول لاتزال تشكو نقصا ملحوظا في هذا الصدد فان الدول العربية، فيما يخصها مجهزة تجهيزا اعلاميا شاملا.

لكن الأهم من التجهيز ـ أو على الأقل ما هو في مستوى أهميته ـ هو الرسالة التي يتعين توجيهها عبر تلك الوسائل الى المتلقين وهم بالنسبة الينا في هذا المقام جمهور الشباب او اي فريق من العموم.

ولهذا ـ وكيفما كان الحال ـ قد يتساءل الواحد منا:

أولاً: من يقوم بالرسالة، أي من هو الجانب المرسل، أو من يتوجه الى ذلك الجمهور بفحوى المطلوب منه «المسئولية».

ثانياً: ماذا يكون محتوى هذه الرسالة، في كل حالة على حدة «المضمون».

ثالثاً: كيف يتم تقديم تلك الرسالة؟تمثيلية؟ قصة؟ فيلماً؟ خطبة؟ رسماً. ؟ «الشكل»

ان الاداة اي الواسطة او الوسيلة انما هي بمثابة حاملة (Support) او وعاء. سواء تعلق الأمر بـ«الصحيفة» ورق وطباعة، أو بـ «الاذاعة» آلات وتجهيزات. وما في حكمهما.

نعم ان الأجهزة والتجهيزات تعتبر امكانات اساسية في حقل وسائل الاعلام العصرية ـ اما فيما يخصنا نحن فإن «الرسالة» اولى بكل اهتمام.

ولنتجاوز النقطة الأولى «المسئولية» الى النقطتين الثانية «المضمون» والثالثة «الشكل»، لنشير الى حقيقة يجدر الجهر بها: ونعني بها توفير الكفاءات في مجال اعداد الرسالة وصياغتها وعرضها على عموم الشباب.

لقد رأينا فيما يرجع الى اللغة الاعلامية ان اجادتها ليست من السهولة بمكان ويتعين الاهتمام بها، وهناك جوانب اخرى من المحتم الانتباه اليها في معرفة حسن التوجه الى الغير، ونحن هنا لا نشير الى اعداد الكوادر الاعلامية المألوفة. من: المحررين، والمذيعين، والمصورين، والفنيين، والفنانين، فان لذلك مكانا غير هذا.

ان ما يعنينا هو المعد الكفء والموفق، للرسالة، اي المرسل الفكري او الأدبي، او الاجتماعي، او الديني، او السياسي. ان لهذا الكادر منزلة خاصة ومميزة هي غير منزلة باقي الكوادر المعروفة في ميادين الاعلام والاتصال ولذلك يلزم الاعتناء بتوفير هذا الكادر والبحث عنه من بين ذوي الكفاءات العالية. والموهبة المؤكدة والتبصر النفسي والايمان الوطني، وليس شرطا ان يكون محترفا وجيها في الصحافة او الراديو أو التلفزيون فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر ـ ـ لكن الرجالات او الشخصيات وذوي النفوذ في المجتمع يبقى لهم مقام معلوم طالما تحلوا بالصفات المطلوبة وفي مقدمتها: اللباقة والاقناع، واللين والنباهة، وطالما كانوا من أولئك المخضرمين الذين يجمعون بين الثقافة التقليدية والثقافة المعاصرة.

ان في بعض البلدان العربية دروسا منظمة ومدارس قائمة لتخريج الدعاة وحتى الوعاظ بالنسبة لنشر الدعوة الاسلامية. ويؤم هذه الحلقات متعلمون على مستوى جيد، ويمتازون عادة بالصفات المحببة المطلوبة، الى جانب اجادتهم لغات اجنبية واطلاعهم على ثقافات اخرى اضافة الى ثقافتهم العربية الاسلامية وايمانهم المتين، وبما ان بعض هذه المعاهد

الاسلامية تدرس في برامجها مادة عموميات الاعلام والاتصال فيا حبذا لو اتسع المجال فيها للاعلام التربوي والتنموي حتى يمكن الحصول من بين متخرجيها على المهيئين فعلا لمخاطبة الشباب افرادا وجماعات، على الشكل المطلوب، وبالاقناع العلمي اللبق سعيا للتوعية من اجل خدمة الصالح العام، والانقطاع لتنمية مجتمعهم، وتحسين مستوى مواطنيهم، والرفع من شأن بلادهم اننا نعتقد ان شيئا من هذا القبيل قد يكون موجودا.

ذلك فيما يتعلق بالنقطتين «ثانيا» و «ثالثا»، اما بخصوص النقطة الأولى «المسئولية» اي مسئولية القيام بتلك «الرسالة» رسالة دعوة الشباب للمساهمة في الخدمة العامة، ومن يتحملها ومن يأخذ على عاتقه، اعلاميا، جلب الشباب الى هذه الحلبة كلما حلت مناسبة او دعا داعي الواجب، بل وربما بصفة مستمرة وعلى التوالي والاسترسال فقد يجوز التساؤل:

هل هذه المهمة فرض عين ام فرض كفاية بالنسبة لادارات الدولة والمؤسسات الرسمية والهيئات الشعبية والجمعيات النظامية والثقافية. ؟

ـ ماهي الجهة او الجهات التي تتحمل هذه المسئولية في كل دولة على حدة؟ أهي قطاعات الاعلام العامة والخاصة؟ ام هي الجهات التربوية؛ من الجامعات والمعاهد والمدارس الى رعاية الشباب ومصالحها، ام هي السلطات العمومية بما فيها المركزية والمحلية؟

أجل ان المطلوب في هذا العرض هو معالجة موضوع محدد (دور الاعلام في مساهمة الشباب في برامج الخدمة العامة) ولهذا يجوز لقائل ان يقول: هل الاعلام وقف فقط على الجريدة او المجلة او الاذاعة الصوتية او الاذاعة المرئية المسموعة؟ اننا جميعا نعلم ان لعدد ملحوظ من الشركات والمؤسسات العامة والخاصة والجهات الحكومية وغير الحكومية اهتماما بالاعلام المتعلق بعملها وتجهيزا خاصا بهذا الاعلام ربما يتمثل في العلاقات العامة

وبعبارة اخرى هناك تعددية في عمليات الاتصال بالرأي العام ومنه جمهور الشباب، ولذلك وحتى نكون عمليين في مساعينا يلزم التخطيط وتحديد المسئوليات في هذا المنعرج الخطير واعطاء مالقيصر لقيصر

حذار ثم حذار من ترك الحبل على الغارب، او الوقوع في الفوضى رغم حسن النية. فما اهلك بعض المشاريع الوطنية الا كثرة المتحكمين فيه

ان مسئولية مخاطبة الشباب مهمة دقيقة جدا، ولها العارفون بها من الخبراء في علوم الاجتماع والنفس والتربية. وممن اشرنا الى توفر الخبرة والمروءة فيهم، ولها ايضا المكلفون فعلا بها والمخططون لها والمتصلون اتصالا مستمرا بالشباب. ومعلوم ان لبعض الدول العربية وزارات بكاملها خاصة بالشباب او مؤسسات حكومية عليا لرعاية الشباب، وتحيطها الدولة بالدعم المالي اللازم، وفضلا عن الجامعات وكلياتها ومعاهدها وما يتبعها من الجمعيات للطلبة والطالبات، علينا الا ننسى شباب مختلف القطاعات الحية في كل قطر او بلد.. من شتى الطبقات والفئات المتخصصة، الشغيلين، والمزارعين، والموظفين، وشباب المهن والحرف الحرة، والشباب العامل في الشركات والمؤسسات. شباب الاحياء الشعبية والتجمعات السكنية.

ان هذا الشباب ذو طاقة هائلة ومن الوطنية الصادقة العمل على رعايته، لأن قيامه بالمساهمة في الخدمة العامة كسب لا يقل اهمية عن مردود شباب الجامعات والمعاهد العليا وسواها.

وحتى تكون العملية الاعلامية في هذا الصدد ايجابية لا محيد ابدا عن التعاون الجاد بين ممثلي تلك الجهات المهتمة بالشباب المفوضين لهذه الغاية وبين الجهات الاعلامية بما فيها الرسمية والخاصة على تعدد فئاتها.

وفي بعض البلدان العربية جمعيات او نقابات وطنية للصحافة والصحافيين، وقد اشرنا الى جدوى الاستعانة بذوي المعرفة والكفاءة والنفوذ، وعلينا في مثل هذا التعاون الا نخشى المناقشة والمصارحة والحوار، فهذه هي المطية الفعلية لوضع تخطيط محكم وتحمل المسئولية الجماعية.

ولتكن السلطات العمومية بالتعاون المتصل مع جهات التربية ورعاية الشباب بالخصوص هي الداعية لمثل هذا التعاون والمنسقة لأعماله، والساهرة الحريصة على نجاحه واستمراره، فان هذه حقا مسئولية اولي الأمر وقد اناطها الله بهم.

المصداقية والاعلام:

الآن وقد تعرضنا للجوانب العامة لموضوعنا، وحاولنا جهد المستطاع ان نلقي عليها المناسب من الأضواء. لـ قد يحسن ان نتعرف بوجه عام على ما ندعوه بـ «المصداقية»، هذه المصداقية التي يلزم ـ في متواضع رأينا ـ انتهاجها عند التوجه إعلامياً الى الشباب بصفة خاصة والى الجمهور بصفة عامة ونحن لا نستهدف فقط المصداقية المنشودة في العمل السياسي او رواية الأخبار، بل نستهدف ايضا المصداقية التي علينا ان نهتدي بهديها كلما عنت لنا معالجة ما لماضي حضارتنا وحاضرها، او معالجة واقع الآمال التي نسعى الى تحقيقها كمجتمع عربي مسلم سائر في طريق النمو والازدهار، على خلاف الصورة القاتمة التي يرسمها بعض الناس عن اجهزة الاعلام وماتقدمه هنا وهناك من انحاء الوطن العربي الكبير، فان الصحف العربية، جرائد ومجلات، تبذل ،والحق يقال، نشاطاً ملحوظاً في نشر المقالات المفيدة والتحقيقات المهمة، والدراسات الجيدة، ليس في المجالات السياسية وحدها بل وكذلك في مجالات الثقافة والفكر والتوعية والتوجيه

العام. كما ان هيئات الراديو والتلفزيون العربية مشمرة عن سواعد الجد في تقديم العديد من البرامج الصوتية والمرئية المسموعة، وفيها الممتع والمشوق، وفيها الثقافي والمسلي، وفيها مختلف الأركان والمواد الموجهة خصيصا الى جماهير الشباب. فضلا عن عرض الأخبار وتتبعها، ونشر الوان الأغاني والموسيقى والطرب، ونقل المباريات والأحداث الرياضية، اما المطابع ودور النشر فانها رغم تواضعها في العالم العربي، تخرج بصفة مستمرة الكتب والقصص والأبحاث. وللشباب فيها الحظ الوفير، والحركة الثقافية والاعلامية المخصصة للشباب عبر المحاضرات والتجمعات الفكرية والشعبية تعم الغالبية الغالبة من البلدان العربية.

تلك حقائق من التجنّي تجاهلها، علما بأن طموحنا جميعا اوسع حجما مما هو قائم ، واعرض من جميع الجهود المبذولة في هذا الميدان.

ومن قبيل الانصاف والصراحة ان نشير رغم كل شيء الى بعض الملاحظات التي تأخذها فئات متعددة من النقاد والمربين وعموم المشاهدين على بعض البرامج التي تقدمها على وجه التخصيص، وسيلة الاعلام الفعالة التلفزيون وهذا النقد الصادر عن تلك الفئات كثيرا ما يبدو بمثابة غيرة او حمية على الشباب والناشئة ونشر القيم العربية الاسلامية ولهذا يتعين علينا ان نحيطه بما يستحق من التأمل.

الشباب وبرامج التلفزيون:

ان التمثيليات والأفلام والمسلسلات التي تعرضها هيئات التلفزيون العربية على مشاهديها ليست دائما من انتاج المحطة التي تذيعها او من البضاعة الأدبية والفنية الوطنية او المحلية للبلد الذي تنتمي اليه تلك

المحطة. انها في نسبتها العالية مواد مصورة ومسجلة جاهزة انتجتها جهات اخرى فقد تكون:

أولا: إما من انتاج القطاع الخاص، اي القطاع التجاري، المتمثل في مؤسسات وشركات قائمة داخل بلد من البلدان العربية او خارجها. وهذه النوعية من الانتاج التلفزيوني تكون ناطقة باللغة العربية او باللهجة الدارجة (وهي المصرية في الأعم).

ثانياً: أو من الانتاج التلفزيوني أو السينمائي الأجنبي ـ التجاري المستورد من الخارج دائما، (وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وانجلترا) – وهذه النوعية مس الانتاج تكون ناطقة بلغة اجنبية هي الانجليزية او الفرنسية غالبا وربما تكون عليها ترجمة عربية بالكتابة التحتية. وقلما تكون مدبلجة وقلة من الدول العربية تستورد ايضا من اوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي.

وهيئات التلفزيون العربية تحصل على النوعيتين من المسلسلات والأفلام والتمثيليات مقابل دفعها مبالغ مالية الى المؤسسات والشركات صاحبة الحق فيها، الا انها مبالغ مهما ارتفعت تعتبر اقل اضعافا مضاعفة مما تستلزمه تكاليف انتاج ما يماثلها محليا

والحصول على تلك المواد البرامجية يكون في الأعم على سبيل التأجير أي على أساس شراء نسخها المسجلة والمعبأة في أشرطة الفيديو أو على الأفلام السينمائية ويكون هذا التأجير لمدة محددة زمنيا ولعرض واحد او عرضين اثنين او اكثر بحسب مقتضيات عقد الاتفاق وقلما يكون الحصول عليها هكذا برسم الشراء النهائي.

ذلك هو الوضع التعاملي لهذه البرامج التلفزيونية التي قد يصبح بعضها بعد عرضها على العموم محل اخذ ورد ونقد وملاحظة من قبل جزء غير يسير من مشاهديها في غالبية بلدان العالم العربي.

فماذا يقولون فيها اي في شأن هذه البرامج الشخصية ياترى؟

انهم يؤكدون ان تلك البرامج مسلسلات كانت او افلاما او مسرحيات قلما تخلو من المثالب التالية:

١ ـ تمجيد التمرد على الشرعية والقانون والأمن والنظام واظهار المتمردين والخارجين عن دائرة المجتمع السليم في صورة الابطال الذين يعجب بهم الشباب.

٢ ـ العطف والحنان على البوهيميين والضائعين من الشبان والشابات واظهار هؤلاء المتسكعين الوسخين والهائمين على وجوههم في البؤس والاذقاع على انهم رافضون للعمل في مجتمع الاستغلال

٣ ـ العنف في صورة حمل السلاح واستعماله لأبسط الأسباب وفض أبسط النزاعات بواسطته.

٤ ـ ابراز الصراع على اشده بين جيل الشباب والأجيال الأخرى، وتمزيق الروابط «الأسرية» المقدسة بين الآباء والأبناء.

٥ ـ ارتكاب جرائم السرقة والتعدي على الغير، وارتكاب القتل والاغتيال في مختلف مواقف تلك التمثيليات.

٦ ـ اظهار شتى الموبقات المهلكة للشباب وفي طليعتها المخدرات (حشيش، وأفيون، وشتى الحقن السامة)، وكذا الخمر والقمار ومحاولة تزيين مفعولها واثرها بدل العكس.

٧ ـ نشر التفكك بين أفراد المجتمع من خلال مشاهد الخيانات الزوجية، وتمجيد الجنس والفحشاء للشباب فتيانا وفتيات.

٨ ـ اظهار المواقف التي تمجد ـ بطريقة من الطرق ـ اساءة استعمال الحرية لغير صالح ما سنت لأجله.

٩ ـ الاستهانة بالعقائد المقدسة والقيم العالية، ومنها العقيدة الدينية ومحبة الوطن، والتفاني في الدفاع عنهما.

١٠ ـ الأنانية المفرطة وعدم الاهتمام بالمساهمة في الخدمة العامة والصالح العام.

ذلك ما يمكن استخلاصه من الملاحظات التي غالبا ما توجه الى الانتاج التلفزيوني والسينمائي المعروض عادة على الشاشات في البلدان العربية، اما ما قد يماثلها من الملاحظات الموجهة من بعض المشاهدين النقاد الى الانتاج التلفزيوني العربي الذي تقوم به المؤسسات والشركات التجارية وكذا المنتج في نطاق النشاط المحلي أو الوطني لهيئات التلفزيون نفسها فإنها ـ والحق يقال ـ لا تخلو من وجاهة، مع العلم بأن هناك انتاجات من التمثيليات والمسلسلات ذات قيمة جيدة وابداع حقيقي ومستوى رفيع، وتشرف العبقرية العربية.

ومن المؤسف ان السلبيات هي التي يحلو لعموم النقاد ايرادها، ومنها في رأيهم على سبيل المثال:

١ ـ اظهار مشاهد عن احط الأحداث والوقائع في التاريخ العربي والاسلامي وما قد يُخْلَقُ خلقا ويُبَشَّعُ تبشيعا في نطاق المؤامرات والدسائس المشخصة التي تبرز ضعف الأمة وتمزق وحدتها. بدعوى العبرة والاتعاظ، بدلا من اظهار الصفحات المشرقة ومواقف العزة والشهامة والكرامة في التاريخ العربي والاسلامي، انها خدمة معكوسة الى الشباب خاصة والمشاهدين عموما.

٢ ـ جهل بعض المؤلفين والمخرجين بالشريعة الاسلامية والقوانين الجاري العمل بها في مجتمعهم، فيورثون من لاحق له في ميراث ويوصون لمن لا تجوز له وصية، ويصدرون احكام الاعدام والأشغال الشاقة من طرف محاكم (تمثيلية طبعا) لا يعرف احد اية اجراءات تقتفي ولا اي قانون تطبّق.

٣ ـ اعتماد الاباحية في بعض المواقف المعروضة على المشاهدين، (مثل اظهار المفاتن عارية ـ وتزيين تعاطي الخلاعة ـ) الأمر الذي يشجع الشباب على تجافي السلوك القويم. ـ ولعل الأفلام السينمائية العربية بهذه النماذج احفل.

٤ ـ اشاعة الطبقية والتنقيص من خلال بعض المواقف التمثيلية فيما يراد به تصوير احداث تاريخية فتكون النتيجة هي العمل على ترسيخ تقديس الأسياد وذوي الجاه والمال، واذلال من سواهم. بدلا من العمل على تمجيد التقوى والمساواة والكرامة اقتداء بقوله تعالى ﴿**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾ وقول الرسول (ﷺ): «الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ـ».

٥ ـ ندرة التمثيليات والبرامج التلفزيونية التي تسجل بكامل التقدير العمل البارز الذي يكون المسنون، الأحياء منهم والأموات، قد قاموا به لوطنهم وامتهم والدور المعقود نجاحه على تعاون الشباب والكهول والشيوخ، نساء ورجالا، في سبيل خدمة الصالح العام.

٦ ـ قلة اهتمام المواد التلفزيونية بتمجيد الخدمة والحياة في البوادي والأرياف، ودعوة الشباب الى هذا العمل.

٧ ـ الابتعاد الملحوظ في عموم تلك البرامج عن الموضوعات التي تمس ـ مسا مباشرا وصريحا ـ الآمال التي تراود الشبان والشابات والابتعاد ايضا عن الاستماع الى ملاحظات هؤلاء والتحاور معهم بكل حرية ولباقة واقناع.

٨ ـ التهيُّب في تلك البرامج تهيبا مطلقا، من تناول الموضوعات العقائدية والفلسفية وتخوف الكتاب والمخرجين العرب، وحتى المسئولين، من مقارعة ضلال الملحدين ومفسدي عقائد الشباب عبر الانتاج الأدبي والفني والتلفزيوني.

٩ ـ التنكر ـ من خلال الحياة اليومية البيتية والمجتمعية التي تصورها بعض البرامج التشخيصية التلفزيونية العربية ـ للتقاليد الوطنية الأصيلة، والمبادىء الاسلامية المتبعة ويتجلى ذلك التنكر حتى في الديكور المستعمل ، وتأثيث غرف البيت وزخرفتها، وتصرفات المشخصين والمشخصات، بحيث كثيرا ما يتنافى محيط وقائع القصة المشخصة عن مقومات البيئة التي تجري فيها وغالبا ما تبدو على انها بيئة هي ايضا مستوردة أو مستوحاة، أو مقلدة من الخارج، الأمر الذي يعطي الشبان والشابات صورة مشوهة عن حقيقة شعبهم وسلوك قومهم، فيزدادون حيرة الى حيرتهم.

١٠ ـ المبالغة التي تتعمدها بعض الممثلات والمذيعات العربيات في ارتداء فاخر الأزياء، والتباهي بالزينة والحلي والمجوهرات .. بسبب ومن غير سبب فَيَكُنَّ ـ والحالة هذه عبر الشاشة ـ قدوة لا مبرر لها ومحتذىً سيئا لبعض الفتيات من المشاهدات اللواتي قد لا تكون لديهن الوسائل المادية للتشبه ببنات التلفزيون.

فهذه أمثلة ونماذج من ملاحظات النقاد ومؤاخذتهم العامة على ما قد يشتمل عليه ـ في رأيهم ـ الانتاج التلفزيوني العربي من السلبيات وذلك بطبيعة الحال الى جانب ما في هذا الانتاج من الايجابيات الوجيهة المثرية وما أكثرها، ولذلك فإن نكران الفضل لذويه لا محل له مطلقاً في هذا الصدد.

نعم. إنّ للشباب تعلُّقاً بالتلفزيون وبمختلف برامج التلفزيون، مثلما عليه الحال أيضا بالنسبة الى الأطفال والمسنين. نساءً ورجالاً. لكن لا يعتقد أحد أن المسئولين عن التلفزيون والعاملين فيه غافلون عما قد يتلبس ببرامجهم من النقائص أو الهنات، هينة كانت أو غير هينة، فكلما كان هؤلاء

من ذوي عالي الخبرة والثقافة والمروءة إلّا وهم واعون كل الوعي برسالتهم الوطنية والاجتماعية والدينية نحو شباب أمتهم وشعب بلادهم، ويتفانون في أدائها.

والذين لم يجربوا الممارسة الميدانية في هذا المجال قد لا يمكنهم أبداً تصور ضخامة المشاكل المتوالدة في خضمه كل ساعة وكل لحظة، فالمطالب والمستلزمات، والرغبات، والشكاوى، والاحتياجات. على شتى أحجامها، لا حصر لها، ولانهاية.

والامكانات والوسائل البشرية والفنية والمالية مهما تحسنت ليست بكافية ولا وافية ولعل تسيير مصالح هذه الأداة الاعلامية والتحكم فيها يأتيان في مقدمة أخطر المسئوليات بالمجتمع والدولة للبلدان السائرة في طريق النمو خاصة

الشباب والاعلام:

بناء على كل ماسلف في هذا العرض يمكن التأكيد على أن لوسائل الاعلام ـ بصفة عامة ـ دوراً محركاً في دعوة الشباب المجابة الى القيام بمساهمته الفعلية في خدمات التنمية على شتى أشكالها وأهدافها.

ولكي يكون السبيل ممهداً في هذا المقام، يلزم قيام تجاوب بين تلك الوسائل وأجهزتها وبين مختلف فئات الشباب، ولهذا وذاك وعلاوة على الملاحظات السالفة الذكر بخصوص التلفزيون وماقبلها من التنبيهات قد يجدر تأمل المقترحات الاضافية التالية علما بأن هناك تطبيقا واقعا لها أو لبعضها في عدد من الدول العربية:

أولاً: يتعين على أجهزة الاعلام والاتصال أن تفسح المجال أكثر فأكثر لشبان الأمة وشاباتها، ومحاورتهم وتبادل الرأي معهم والاستماع اليهم واسماع

صوتهم في كل مايتعلق بمستقبلهم ومصير أوطانهم، ويلزم أن تكون في الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفزيون أركان خاصة بانتاجهم وتناول قضاياهم وتصوراتهم.

ثانياً: يحسن العمل ـ بصفة مستمرة ـ على تنظيم اللقاءات الفكرية في المدرجات الجامعية والمنتديات الشعبية بين المتفتحين من قادة الرأي والتوجيه الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان وبين فئات الشباب. ولتكن المناسبة مثلا القاء محاضرة، أو مناقشة كتاب أو تكريم ضيف أو حلول ذكرى أو موسماً. إلخ

ان مردود مثل هذه المنابر الثقافية والاعلامية فوري، ولامانع من أن تكون السلطات المحلية الثقافية أو الاجتماعية هي المنظمة لهذه اللقاءات أو المساعدة للجمعيات عليها.

ثالثاً: ليبتعد كتاب القصص والمسرحيات والتمثيليات والأفلام والبرامج التشخيصية الأخرى ـ ما أمكنهم الابتعاد ـ عن تناول الموضوعات التاريخية السلبية والانهزامية التي تشيع في نفس الشباب العربي المسلم الحيرة والألم وعدم الفخر بماضيه

رابعاً: لتنصرف وسائل الاعلام وخاصة منها الصحافة المكتوبة والتلفزيون عن أخبار الجرائم والفضائح الجنسية والمشاغبات الغوغائية ونشر الصور والريبورتاجات عنها، والزيادة في التشهير بخصوصها، فإن مردود هذه العمليات على الشباب مردود عكسي.

خامساً: لتستمر هيئات الاذاعة والتلفزيون في تشجيعها الشباب على الابداع الفكري، والأدبي، والفني، واحاطته بالمساعدة المعنوية والمادية فان هذا الابداع مجال حقيقي لتعاون الشبان والمسنين وخلق جو التكافل المنشود بينهم جميعاً

سادساً: لتضع أجهزة الاعلام في مقدمة اهتمامها نشر القيم الاسلامية وفضائل الدين الاسلامي، ولتفسح المجال أكثر فأكثر للدعاة والمفكرين والمتحدثين الشبان. وخريجي الجامعات والمعاهد.. حتى يكتبوا ويتحدثوا ويناقشوا بالأسلوب والروح المناسبين لمخاطبة الشباب، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ الى جانب الاهتمام المعهود والحميد بالعلماء الذين هم قادتنا ومنار الهدى وبهم فخرنا واعتزازنا.

جدير بالذكر أن بحثاً علمياً حديثاً لاتحاد الاذاعات العربية قد أظهر أن البرامج الدينية تأخذ مرتبة متعالية في اهتمام المشاهدين بالدول العربية

سابعاً: العمل على نشر اللغة العربية وترويجها بين الشباب في التحاور والمناقشات والتبليغ هدف من سامي الأهداف التي تؤديها وسائل اعلام. ولهذا يلزم التقليل تدريجيا من استعمال اللجهات العامية واللسان الدارج في الحوار التمثيلي بالاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما بل وفي مختلف البرامج الاذاعية والتلفزيونية

ثامناً: يتعين تركيز الأهمية القومية التي يكتسبها التراث الحضاري للأمة العربية والاسلامية في أذهان الشباب، وتحبيب هذا التراث الى الشباب، وذلك بتحليته بأحسن المظاهر الفنية وأبهاها عبر مختلف أجهزة الاعلام، وصفحات الكتب والمطبوعات وعلى خشبات المسرح وشاشات السينما.

وفي هذا الصدد. يستحسن تخصيص برامج مشوقة ومخرجة في التلفزيون والاذاعة اخراجا فنيا عن أمهات كتب التراث العربية حتى يقبل الشباب على دراستها ويتعود على استيعاب جواهرها كذلك فيما يرجع الى الهندسة المعمارية العربية ومختلف مجالات الثقافة العربية والاسلامية بما فيها الزي والطبخ والمصنوعات المتوارثة

تاسعاً: ترويض الشباب من خلال أجهزة الاعلام وبواسطتها على الاعتزاز بمصنوعات بلاده كلما كانت هناك منتجات وطنية أو عربية متوافرة فيها، وحض الشبان والشابات على استعمالها بدلاً من تعلقهم بكل ماهو مجلوب من الخارج، «باريس، واشنطن، ولندن» حتى ولو كانت البضاعة المجلوبة تحمل العلامة التي تدل على أنها مصنوعة في بلد أقل من بلدهم مستوى، وصناعة، وإتقاناً.

عاشراً: يتعين على أجهزة الاعلام أن تقدم على التوالي والاستمرار من خلال وسائلها المتعددة شتى البيانات، والمقالات، والصور والبرامج والأفلام، التي من شأنها أن تحبب الى الشباب الانكباب على تعلم التكنولوجيا ودراسة العلوم الحديثة وامتلاك أسرارها لما فيها صالح البلاد وتقدمها

ولنا أن نسترسل في تفصيل أمثال هذه المقترحات التي قد لاتكون جديدة كل الجدة على المسئولين عن اجهزة الاعلام والاتصال والعاملين فيها، كما قد يقول قائل بخصوصها انها ليست الكفيلة وحدها بدفع الشباب الى المساهمة الفعلية في برامج الخدمة العامة ونشر مقومات التنمية في المجتمع، فنشير الى أن جميع الملامح التي اشتمل عليها هذا العرض انما المقصود من ورائها التذكير والتنبيه في حدود المستطاع. ونشير أيضاً الى أن سبل التدرج شيئا فشيئا في الاقناع والتبصير، وكذا الجدال بالتي هي أحسن في التعامل المتوالي مع الشباب وتوجيه الشباب. هي الأساليب التي على الاعلام والتوعية والتربية انتهاجها، فما كان التقريع والترهيب والمعاندة سلوكا ايجابيا. ورحم الله الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي قال: «ان الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدعوه جملة، فيكون ذا فتنة».

العنف في وسائل الاعلام
وآثاره على الناشئة والشباب

الدكتور عدنان الدوري*

المقدمـــــــــة:

لايسع الباحث العلمي المنصف سوى الاعتراف ببعض الحقائق الأولية التي لا مجال لاغفالها او انكارها في هذا الموضوع.

أولى هذه الحقائق: اننا نعيش اليوم في عالم عدواني يتميز بطغيان العنف والجريمة والسلوك العدواني بشكل فاق كل ما عهده الآباء والأجداد في عهود سابقة

وثانيتها: ان طغيان مثل هذا العنف صار واقعا وحقيقة ملموسة بل واحداثا عادية مألوفة يتقبلها الناس بعفوية هادئة قبولهم لبعض الظواهر الجوية المألوفة كبرودة الجو أو هطول المطر أو ارتفاع درجة الرطوبة

وثالثتها: أن بعض وسائل التواصل الجماهيرية المعاصرة، والمرئية الناطقة بوجه خاص، صارت تقدم اليوم زخماً هائلاً من المواد الاعلامية المملوءة بالعنف الذي بات يفوق من حيث كميته ونوعيته كل عنف حقيقي مارسته ومازالت تمارسه المجتمعات المعاصرة.

(*) كلية الآداب. قسم الاجتماع. جامعة الكويت.

أما ان بعض مجتمعاتنا المعاصرة تمارس اليوم عنفا اجراميا حقيقيا يتجاوز في خطورته حدود الوصف والتصور فتلك حقيقة أخرى تدعمها الأرقام المذهلة التي تكشفها بعض الاحصائيات الرسمية الجنائية

ففي مدينة أمريكية واحدة كفيلادلفيا التي لا يتجاوز سكانها المليونين من السكان. مايرتكب في هذه المدينة وحدها من جرائم القتل يزيد على ما يرتكب من هذه الجرائم في بلد كبير كانجلترا التي يتجاوز سكانها الأربعة والخمسين مليوناً

كما أن بعض الاحصائيات الأمريكية المروعة تشير الى ان شخصا واحدا يقتل كل ستة وعشرين دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية وان امرأة واحدة تغتصب باستخدام العنف والقوة كل عشر دقائق.
ويقدر البعض ان عدد من يملكون سلاحا ناريا قاتلا يتراوح بين التسعين والمائتي مليون.

ولعل من الملاحظ بشكل ملموس أننا بدأنا نستخدم كلمة القتل وكلمة الموت وكلمة التدمير في مجمل سياق هزلنا ومزاحنا بل وصارت مثل هذه المفردات اللغوية تحتل جزءاً كبيرا من استعاراتنا الدارجة ومخاطباتنا اليومية. ولكن السنا نجد في تاريخ كل شعب من الشعوب بعض ملامح العنف بشكل أو بآخر؟

وقد يكون بعضه عنفا مشروعا واسلوبا مألوفا يقع تحت مظلة حضارية تحيط بها مجموعة من المبررات الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية حتى لانجد من بين الشعوب من يجد حرجا لدى الاحتفال ببعض هذا العنف المشروع في بعض المناسبات القومية او الاجتماعية من وقت الى آخر

واليوم وبعد ان أصبح للتليفزيون وهو أكبر وسائل الاعلام شيوعا بين الناس تأثيره الواسع على مجال عريض من القيم والمعايير الاجتماعية وغالبية أنماط السلوك والعادات الاجتماعية فقد استطاعت هذه الوسيلة الاعلامية بمفردها ان تشكل لدى غالبية المجتمعات الحضرية والصناعية ثقافة تليفزيونية خاصة وتنشىء جيلا تليفزيونيا خاصا.

ولعل من المؤسف حقا ان غالبية وسائل الاعلام، والمرئية منها بشكل جاد، بدأت تعيش في ديمومتها على تسويق ظاهرة العنف والعدوان فتصف للناس تفاصيله الدموية المرعبة كسلعة تجارية مطلوبة مرموقة تقدم لهم في أطباق شهية تحت مبررات التسلية أو الترويح أو الاعلان أو الأخبار أو غير ذلك من المبررات الأخرى.

يقول تقرير لهيئة الأمم المتحدة في مؤتمرها الخامس لمكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين أن العنف قد يأخذ أحيانا شكل اللغة للتعبير عن بعض القيم والأنماط السلوكية لبعض الجماعات ولذلك يصبح مثل هذا السلوك العنيف سلوكا مقبولا مرغوبا به لدى الأفراد اذ يصبح صفة لازمة يستطيع الفرد ان يجد بها مكانةً ومنزلةً وتقديراً بين جماعته أو بين أقرانه وفي اطار ثقافة سفلية فرعية خاصة.

أما دور التلفزيون كوسيلة اعلامية حضرية جديدة ومدى اسهام هذه الوسيلة في شيوع العنف وتيسير قبوله كوسيلة استجابية لحل بعض مواقف الصراع بين الأفراد او بين الجماعات او تشجيع ممارسة العنف بصورة فعلية فتلك قضية جدلية لم يقطع فيها برأي علمي حاسم حتى وقتنا هذا

واذا كان من الصعوبة بمكان ان يقطع الباحث العلمي اليوم بالقول بأن انسان هذا العصر صار اكثر عنفا واشد عدوانية ممن سبقوه من الأجداد

الأقدمين فان بوسع المجتمعات المعاصرة وبوسع الجيل المعاصر ان يؤكد مدى طغيان العنف في الحياة المعاصرة بحيث ان الأسرة وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى العاملة في ميدان التنشئة الاجتماعية باتت اليوم تواجه تحدّياتٍ ثقافية متزايدة في محاولة تعليم الأطفال كيفية حل صراعاتهم المختلفة بطرق سلمية بعيدة عن العنف.

أولا: مدخل نظري عام لمفهوم العنف:

١ ـ طبيعة العنف وأنواعه:

قد ينصرف مفهوم العنف تقليدياً الى كل قوة بدنية تحدث أضراراً في الجسم، الا ان العلماء لا يقتنعون بهذا المعنى الحرفي الضيق للعنف حيث يمكن ان يحدث العنف اضرارا نفسية او عقلية او اجتماعية كالأضرار بسمعة الشخص او النيل من منزلته الاجتماعية او احداث الخسارة الاقتصادية بمؤسسة تجارية صغيرة من قبل احدى المؤسسات الكبرى التي تسعى الى افلاسها او طردها من السوق.

ان هذا جميعه وغيره من اشكال الاضرار الأخرى يشكل لاشك عنفا مهما اختلفت مصادره او تعددت اهدافه ومبرراته

وقد يصنف بعض العلماء العنف لأغراض البحث العلمي من ناحيتين:

أحديهما من حيث أسلوب العنف.

والأخرى من حيث مدى شرعيته.

فالعنف من حيث أسلوبه يمكن أن يتضمن الأنواع التالية:

١ ـ العنف البدني: وهو اما ان يكون فعليا كالقتل والضرب او يكون

بالتهديد باستخدام العنف وعادة ما يسبق العنف الفعلي تهديد باستخدامه ولكن لا يشترط تلازمهما في كل الظروف والأحوال.

٢ ـ العنف التسلطي: وهو الذي يهدف الى احداث بعض الأضرار الاقتصادية او الاجتماعية او العقلية، وغالبا ما يستخدم مثل هذا العنف في اطار الصراعات الفردية او الجماعية وبين المنظمات والدول والشعوب ولأهداف السيطرة السياسية او الاقتصادية

٣ ـ العنف الاختباري: وهو عنف شفوي او بدني هدفه كشف قدرات الشخص القادم الجديد الى مجتمع او جماعة جديدة وذلك قبل الشروع في منافسته او التورط في صراع معه، وغالبا ما يشيع هذا العنف الاختباري بين جماعات لعب الأطفال او العصب الجانحة من الأحداث الذكور او الاناث.

أما اختلاف العنف وفقاً لدرجة شرعيته فقد يتدرج العنف بين الشرعية التامة واللاشرعية المطلقة وذلك على النحو التالي:

١ ـ **العنف اللامشروع**: وهو العنف الشائع في معناه بين غالبية الناس حين يلتصق بصفة اللاشرعية حيث يخالف القانون او الأخلاق، وهو سلوك يتجاوز حدود تسامح المجتمع، كالقتل والايذاء وبقية انماط العنف الاجرامي الأخرى.

٢ ـ **العنف المشروع**: وهو العنف الذي يستند على ارضية مشروعة من القوانين او الاعراف او الانظمة او القيم او التقاليد ومثل ذلك عنف بعض العاب القوى والمباريات الرياضية او ذلك العنف الذي تقتضيه طبيعة الواجب الرسمي او مستلزمات المهنة او متطلبات العمل او استعمال الحق.

والواقع ان معيار التمييز بين مشروعية العنف ولا مشروعيته يخضع في الغالب الى قاعدة ثقافية عريضة الأمر الذي يفتح الباب لجدول فقهي او علمي تتباين فيه وجهات النظر وتختلف التبريرات والتفسيرات.

ان مشروعية العنف او لامشروعيته تتوقف ـ الى حد كبير ـ على مصدر الشرعية ذاتها وعلى مقدار العنف المطلوب لتحقيق هذه الشرعية فقد يتعدى الزوج او الأب حدوده الشرعية في معاملة زوجته او في حق تأديب اطفاله ولذلك يصبح عمل الزوج او الأب هنا اساءة لاستخدام حق مشروع الأمر الذي ينقله الى مرتبة العنف غير المشروع، وحين يتجاوز رجل الشرطة حدود واجبه فيستخدم من اجراءات القوة والعنف ما يزيد عن الحاجة المقررة عرفا او قانونا وهنا يصبح عمله ـ حتى وان كان من ضمن الواجب الرسمي ـ عملا غير مشروع أو عنفاً لا مشروعاً.

ومن هنا، فقد نجد من العلماء من يرى ان مصطلح العنف مصطلح غامض يتصل معناه ببعض العمليات السياسية التي انشأته. ففي هذا يقوم العنف كعمل بطولي من أحد الجانبين المتحاربين بينما يراه الجانب الآخر عملاً عدوانياً.

٢ ـ تفسير العنف:

هل يرجع العنف في طبيعته الى عوامل غريزية طبيعية ام هو ظاهرة مكتسبة يتعلمها الانسان من خلال تنشئته الاجتماعية وفي اطار عيشه الجماعي؟ وهل ينشأ العنف عن عوامل نفسية او عقلية كالمرض العقلي الذهاني او المرض النفسي العصابي او الحرمان او الاحباط الشديدين؟ وهل يرجع العنف في منشئه الى تنشئة اجتماعية او تربوية خاطئة خلال مراحل الطفولة الأولى؟ وهل يمكن ان يتعلم الانسان العنف او السلوك العنيف

كأي سلوك اخر نتيجة تعرضه الطويل والمتكرر لصحبة اشخاص يمارسونه بانتظام؟ وهل يتعلم الانسان العنف بتقليد اخرين حيث يجعل منهم امثالا يحتذى بهم نتيجة اعجابه الشديد بهم؟ وهل يرتبط العنف بثقافة سلفية فرعية او بطبقة اجتماعية او مجتمع محلي معين؟ وهل يرتبط العنف ببعض ظواهر اجتماعية او اقتصادية محددة كالفقر الشديد او ادمان الكحول او غير ذلك من ظواهر اخرى.

لاشك ان جميع هذه التساؤلات وغيرها الكثير تشكل المدخل العلمي لتفسير ظاهرة العنف ، واذا كان لا يعنينا الجدل العلمي الطويل حول جميع هذه الفرضيات والنظريات المطروحة في سوق السببية فانه يجدر بنا ان نوجز ابرز الاتجاهات وفحواها دون ان يأخذنا الاسترسال في وصفها الى متاهات جدلية طويلة نحن في غنى عنها في هذا المجال المحدد.

ويمكن ايجاز ابرز هذه التفسيرات على النحو التالي:

١ ـ التفسير الفيزيولوجي:

يؤكد أنصار نظريات الغرائز أن غريزة العدوان موروثة في الجنسين البشري والحيواني على حد سواء. فالانسان مخلوق عاطفي تحركه الغريزة ويجرفه الانفعال، ولعل هذا خلاف لما يراه فلاسفة الاخلاق القدامى الذين وصفوا الانسان بانه حيوان عاقل، ان بعض انصار هذا الاتجاه الطبيعي يفسرون العنف بوجود كروموسوم اضافي يضفي على صاحبه ذكورة زائدة تقود في الغالب الى الضعف او السلوك العنيف. وهناك اخرون من انصار هذه المدرسة يردون العنف الى تلف الدماغ ذاته

ورغم حجة هذا الفريق فانهم مازالوا عاجزين عن تفسير سبب تباين السلوك العنيف بين الأفراد او بين الجماعات رغم اشتراكهم في ارضية غريزية مشتركة واحدة.

كما أن أنصار فكرة الكروموسوم الاضافي أخفقوا في ايجاد الرابطة السببية بين وجود الكروموسوم الزائد وبين ظهور السلوك العنيف لانهم في الواقع لا يستطيعون تحديد عدد الأشخاص الذين يملكون مثل هذا العامل الوراثي الزائد في العالم من جهة ومن الجهة الأخرى لا يستطيعون ان يفسروا سبب ظهور السلوك العنيف بين اشخاص لا يملكون مثل هذا الموروث الزائد.

٢ ـ التفسير السيكولوجي:

ويرد أنصار هذا الاتجاه العنف الى اسباب نفسية صرفة كفقدان السيطرة على النفس نتيجة بعض الضغوط القاهرة او نتيجة عوامل اخرى محددة كالكحول أو المرض العقلي أو الاحباط الشديد، وهم يعتقدون ان العنف يمكن ان يكتسبه الفرد بالتعلم عن طريق التقليد أو عن طريق التعلم بالمكافأة.

ولاشك أن هناك بعض الدراسات العلمية التي طلعت ببعض النتائج الايجابية لاثبات صحة مثل هذه الفرضيات ولكنها لا تصلح أساساً نظريا كاملا لتفسير العنف تفسيراً علمياً مقبولاً في كل المواقف والأحوال.
صحيح ان الكحول يمكن أن يضعف بعض الكوابح الداخلية الذاتية التي تحول بين الانسان وبين استخدام العنف.

كما أن الاحباط الشديد قد يقود صاحبه الى التماس طريق العنف ولكن مثل هذا الاحباط لا يقود بالضرورة الى العنف في كل الظروف والأحوال، ومن الناحية الأخرى فقد يحدث الكثير من العنف والسلوك العدواني دونما ارتباطه بحالة احباط في حالات كثيرة.

إن الإحباط وحده كعامل جوهري لا يمكن ان يؤدي بمفرده الى السلوك العنيف الا اذا ارتبط بعوامل أو مواقف اخرى مساعدة أو مكملة. اما القول بامكانية تعلم العنف عن طريق المكافأة فهو قول لا يفتقر كثيرا الى الحجة المدعومة بالبحث العلمي، فهناك من الدراسات التي اثبتت ان العنف سلوك يمكن ان يتعلمه الطفل مس خلال خبراته الأولى في الحياة، ذلك ان العنف سلوك تمكن زيادته أو نقصانه بضبط اجتماعي مناسب كالمكافأة والتشجيع أو المنع والتأنيب، وقد يتعلم الطفل العنف بتقليده للآخرين من حوله حين يتخذه بعضهم قدوة أو منوالا ينسج على نمطه، ولعل مثل هذا الرأي يدخل موضوع العنف التلفزيوني في الصورة حيث يتصل فيما يمكن ان تقدمه بعض وسائل الاعلام من عنف خيالي والذي سيجيء الكلام عنه في مجال لاحق.

٣ ـ التفسير النفسي الاجتماعي:

ويقوم هذا التفسير على الاعتقاد بأن جذور العنف يمكن ان تزرع في نفسية الاطفال وشخصياتهم من خلال عملية تنشئة اجتماعية خاطئة خلال مراحل الطفولة الأولى، وتفيد احدى الدراسات الميدانية المقارنة التي تناولت ستة مجتمعات مختلفة في شتى بقاع العالم تضمنت أحد المجتمعات في شمال الهند ومجتمعاً محلياً أمريكياً وقرية مكسيكية واخرى افريقية في كينيا واخرى في جزر الفليبين واخرى يابانية وقد أظهرت نتيجة هذه الدراسات المقارنة مدى اسهام طرق تنشئة الأطفال ودور كل من الأم والأب في تطور السلوك العنيف الذي يصدر عن اطفالهم.

ولعل ما يثير الدهشة ان هذه الدراسة لم تجد أية علاقة بين عقاب الطفل عن سلوكه العنيف وبين ظهور العنف في حياته المقبلة بعد البلوغ،

ولعل هذا يفيد بوضوح بأن العقاب لا يشكل عاملا جوهرياً رادعاً في تشكيل طبيعة السلوك العنيف اذ يمكن ان يتأثر الطفل كثيراً بمجموعة عوامل ومواقف اخرى من خلال اختلاطه بأقران اللعب او بعض الجماعات الأولية الأخرى.

وباختصار فان عملية التنشئة الاجتماعية بكل ابعادها وعناصرها ومحتواها تشكل البيئة الانسانية الأولية لتعلم الطفل لكافة انماط السلوك المقبولة وغير المقبولة، فقد يتعلم الطفل كيف يكون شخصاً انسانياً مسالماً اجتماعي النزعة رقيق المسلك والتصرّف وقد يتعلم كيف يكون فظا يتصرف بكل رعونة وخشونة وكيف يحل مشكلاته وصراعاته باستخدام العنف الشديد او السلوك العنيف.

٤ ـ التفسير الاجتماعي:

ويؤكد بعض علماء الاجتماع ان العنف قد يرجع الى انتماء الشخص لثقافة سفلية فرعية تشجع العنف وتقبله وتعتمد أسلوبه وأنماطه كطريق مألوفة لمواجهة التحديات وحل المشكلات والتعامل مع الآخرين، وهناك من علماء الاجتماع من يعزي العنف الى الفقر او البطالة او فشل الشخص في تحقيق اسباب الانتماء الاجتماعي لأسرته او لمجتمعه المحلي او لمجتمعه الكبير او اخفاقه في تكوين علاقات اجتماعية صحية مع الآخرين وفي هذه الحالة يصبح الشخص منبوذا غير مرغوب فيه.

ويجد بعض العلماء ان اطلاق حرية حيازة السلاح القاتل قد يقود الى العنف الاجرامي في بعض المجتمعات.

ولاشك ان مثل هذه الفرضيات الاجتماعية وغيرها ذات اهمية علمية لأنها تمثل محاولات علمية منهجية لتقرير اهمية الواقع الاجتماعي الذي يسهم في خلق ظاهرة العنف بشكل او بآخر

ولكن جميع هذه الفرضيات لا تحمل من الحجة العلمية ما يؤهلها لصياغة نظرية علمية متكاملة في ميدان سببية العنف او تفسير طبيعته ومنشئه، فالقول بأن للعنف ثقافته الفرعية السفلية لا يصلح لتفسير حدوث العنف في معدلات عالية في مجتمعات سوية غير سفلية، كما أن العنف لا يعد اليوم ظاهرة طبقية او صفة لاصقة بالطبقات الفقيرة المحرومة التي تعاني احباطا كبيرا نتيجة اخفاقها في تحقيق اهدافها المشروعة باساليب مشروعة.

ثانياً: ظاهرة العنف ووسائل الاعلام:

١ ـ التلفزيون والعنف التلفزيوني:

ليست الوسيلة الاعلامية في مفهومها العام سوى وسيلة توصل بعض المعلومات الى اكبر عدد ممكن من الناس، والوسائل الاعلامية المعاصرة بعضها سمعي والآخر مرئي، وبعضها سمعي مرئي، وهو يشتمل على المطبوعات من جرائد وكتب ومجلات وملصقات وعلى الراديو وما يلحق به من تسجيلات صوتية وعلى السينما وعلى التلفزيون وما يلحق به من افلام الفيديو.

وبالنظر الى ان معالجة جميع هذه الوسائل بشيء من الدقة والتفصيل لا يتسع له المجال المحدد لهذا البحث فقد رأينا ان نقتصر هنا على ايضاح اكثر هذه الوسائل شيوعا وابرزها تأثيرا على الأطفال والبالغين وهو التلفزيون وذلك لمقدار ونوعية ما يعرضه من العنف الخيالي والحقيقي وهو الذي يشكل موضوع هذه الدراسة.

ولاشك ان الناس في كل مكان وعلى اختلاف طبقاتهم بدءوا ينظرون الى التلفزيون نظرة جادة كظاهرة جديدة او كمشكلة حضارية جديدة ذات آثار سلبية معينة ، وقد لايكون الأمر كذلك.

لقد صار حال الناس اقرب الى حالة الادمان التلفزيوني حيث اصبحوا لا يطيقون الابتعاد عن هذا الجهاز او مجرد التفكير بالاستغناء عنه ولو لفترة قصيرة، ان مجرد عطل فني مؤقت يصيب هذا الجهاز او اي اضطراب في برامجه المعتادة او اي خلل طارىء يعوق مشاهدته لاشك يثير اليوم عاصفة من السخط والغضب بل وزوبعة من عدم الرضا والاحتجاج بين افراد الأسرة في غالبية البيوت، لقد صار هذا الجهاز الطارىء على الحياة جزءاً من واقع الحياة حتى افقد الناس القدرة الصائبة على كشف بعض سلبياته رغم ما يتعرضون له بسببه منذ مدة ليست قصيرة ويظهر ان اخفاق الناس في الاحساس بوجود ضرر ما يحجب رؤيتهم لهذا الضرر ويفقدهم القدرة على استبصار بعض ما يتصل بالمشكلة القائمة بسببه.

ويكاد ان يجتمع الرأي على اننا نواجه اليوم حملة اعلامية شرسة تتضمن ما تعرضه بعض وسائل الاتصال الجماهيرية،والتلفزيون بوجه خاص، من مواد تحتوي على وجبات دسمة من الرعب والعنف والجريمة ومشاهد السادية والعدوان بشكل هائل وفي زيادة مستمرة لا نجد في الأفق ما يبشر بخط تنازلي يشير الى الاعتدال او النقصان.

والواقع ان العنف قديم في حياة البشر قدم الحياة ذاتها ولكن الجديد في مدنيتنا المعاصرة ان وسائل الاعلام الجماهيرية والتلفزيون بوجه خاص جعلت الناس يشهدون في العنف الخيالي ما يفوق العنف الحقيقي او يتعدى خبراتهم الواقعية في ممارستهم له، فالعنف التلفزيوني قد يكون عنفا حقيقيا حين يعكس عنفا يقع فعلا في عالم الواقع، اما العنف الخيالي فهو الذي يمثل العنف الحقيقي الا انه لا يقف بالضرورة عند حدوده الواقعية من حيث الكمية والنوعية المطلوبتين لتحقيقه، فهل هناك ما يبرر هذا العرض الزائد عن الحاجة من العنف الذي ينشره التلفزيون على الناس في الوقت الحاضر؟

يقول عالم الاجتماع الانجليزي هالاران Hallaran ان كل مجتمع ينال من العنف بقدر مايستحقه، اذ هو ينتج مقدار العنف الذي يحتاجه ويطلبه، فهل نحن اليوم نعيش في مجتمعات تنتج هذا القدر الهائل من العنف بقدر ما تستحقه وتطلبه، ولكن كيف نعيش مقدار العنف التلفزيوني هذا؟ هل نقيسه بعدد جرائم القتل أو الضرب أو الاغتصاب ، ام نقيسه بنوعية القتل أو الضرب أو الاغتصاب أو نوعية السلاح الذي استخدم في تنفيذه؟

لاشك ان وراء كل عنف تلفزيوني قصداً وهدفاً يسعى المنتج الى تحقيقهما من خلال المشهد أو الخاتمة، وحين يختفي هذا الهدف أو القصد وراء آليات السلوك العنيف وبيان دقائقه وتفاصيله المادية فهل نستطيع ان نتبين مثل هذا القصد والهدف حين تستغرقنا الوسيلة فتصبح هي ذاتها الهدف المطلوب؟

ان مشاهد العنف التلفزيوني تمثل في غالبيتها الوسيلة دون المغزي وبالتالي فان التلفزيون يعرض العنف كعنف دون الاهتمام بما يحيط بهذا العنف من قيم اجتماعية أو اتجاهات نفسية أو مبررات أو اهداف تربوية اخرى، ان المعرض الدرامي المفصل للعنف المرعب بأشكاله الدامية يحجب وراءه الهدف الايجابي لوجوده لأنه يتمادى في تصوير العنف كهدف أو غاية رغم الادعاء بمشروعية بعض الأهداف المسئولة عن مثل هذا العنف أو المبررات الشرعية لحدوثه.

ويقول عالم اجتماع اخر هو برايس ويلسون Wilson ان التلفزيون يبالغ اليوم كثيرا في اهتمامه بالعنف ويهيء اذهان الناس لقبوله وذلك من خلال ابراز بعض الاتجاهات اللااجتماعية وباسلوب خيالي يزيد شهية المشاهد لقبول مثل هذا العنف وبوسيلة مسلية للتعبير عنه وخلق الجو الاجتماعي لتسامحهم ازاء بعض اساليبه وانماطه.

وهذا عالم نفس آخر هو الدكتور ورتام Wartam يقول لنا: إن التلفزيون جهاز يقدم للناس وجبات دسمة من العنف والسادية بكميات هائلة المقادير.

ويظهر أن أفلام الرسوم المتحركة والبرامج الخاصة بالأطفال التي يعرضها التلفزيون في اكثر المجتمعات المعاصرة بدأت هي الأخرى تفيض بمشاهد العنف والرعب والعدوان، ولعل هذا بمفرده يشكل لنا المدخل المنهجي والمبرر المشروع لمناقشة الآثار التي يتركها هذا الجهاز من خلال عرض مشاهد العنف والرعب والجريمة ولفترات زمنية طويلة متكررة ومدى تأثير كل ذلك على الأطفال وكشف موقع هذا التأثير بين عمليات التنشئة الأخرى.

وعن هذا يقول الدكتور ورتام: ان تعريض عقول الأطفال الى مشاهد العنف والقسوة والسادية والاجرام بصورة مستمرة لاشك يترك بصماته العميقة لديهم كما هو الحال في بعض البرامج التلفزيونية الجيدة التي لاشك تترك اثارا حسنة في ذاكرتهم.

فالتلفزيون في حياة الأطفال اما ان يترك اثارا حسنة أو اثارا سيئة ولا يمكن ان يكون حياديا.

٢ ـ آثار العنف التلفزيوني على الأطفال والشباب:

ينال موضوع تأثير التلفزيون على الأطفال والناشئة اهتماما كبيرا على مستوى العلماء والمتخصصين الأمر الذي اكسب مثل هذا الاهتمام شرعية خاصة لوضع هذا الجهاز في قفص اتهام لمحاكمته وكشف عيوبه ومساوئه على مختلف المستويات.

وقد أسهمت بعض الدراسات العلمية، والتجريبية بوجه خاص، في بيان علاقة برامج العنف بسلوك الأطفال الا ان مثل هذه الدراسات التجريبية ، الى جانب الدراسات المقارنة الأخرى، لم تستطع اثبات وجود ثمة علاقة سببية مباشرة بين مشاهدة الطفل لبعض برامج العنف التلفزيوني وبين نشوء أو ظهور بعض انماط السلوك العدواني لديه كنتيجة مباشرة لمثل هذه المشاهدة الضارة، ولعل ذلك يرجع الى ان غالبية الدراسات التجريبية استخدمت عنفا اصطناعيا غير حقيقي كبديل يمارسه الطفل على دمية بشكل انسان وبالتالي فان العنف اللاحق على المشاهدة التلفزيونية على فرض حدوثه لا ينصب على انسان حقيقي

ورغم ما تقدم فمازال هناك اعتقاد يسود عددا غير قليل من علماء النفس وأطباء الأمراض العقلية يفيد بأن تكرار مشاهدة الطفل للمعارك العنيفة التي تستخدم فيها الأيدي أو الاسلحة النارية أو السكاكين لايمكن أن تكون عديمة الأثر ، بل على العكس من ذلك تنمي في الطفل بعض المشاعر العدوانية وقد تعلمه ممارسة بعض انماط السلوك العدواني فعليا ، وتفيد حصيلة بعض الاختبارات النفسية التي تجري على الأطفال لاختبار شخصياتهم أن الطفل الذي يقضي وقتاً طويلاً في مشاهدة برامج العنف التلفزيوني يكشف بالاختبار ميولا عدوانية بنسبة اكبر من سواه ممن لا يشاهدون مثل هذه المشاهد،ومع ذلك فان جميع هذه الاختبارات تقف عند حدود كشف وجود بعض العلاقات ولكنها لا تستطيع ان تثبت ان وجود مثل هذه الميول العدوانية كانت نتيجة مباشرة لمشاهدة برامج العنف بصورة علمية سليمة.

ولعل هناك من يجد لنا تبريرا لظهور العنف التلفزيوني بوصفه صمام امان يجري من خلاله تفريغ حمولة العنف الداخلي المكبوت لدى الطفل وذلك من خلال عملية المشاهدة التلفزيونية ذاتها.

ويمكننا القول هنا بان كثرة الدراسات العلمية التجريبية والمقارنة التي قام بها عدد كبير من الأطباء واطباء الأمراض العقلية وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكذلك كثرة ما اظهروا للتلفزيون من عيوب ومساوىء وآثار سلبية ضارة كل هذا افسد على هؤلاء العلماء وغيرهم فرصة التأني في الاجتماع الهادىء على رأي علمي محدد وبلورة اتجاه فكري واضح تجاه هذا الجهاز السحري الغريب الذي افسد على الناس سوية معايير حياتهم الهادئة وعصف باستقرار اتجاهاتهم وعاداتهم النمطية الثابتة نسبيا.

ولعلنا في نظرة هادئة الى موقف العلم والعلماء ان نصل بالذهن الى بعض الاجابات المقبولة للكثير من التساؤلات التي تتصل بدور التلفزيون السحري في تلقين العنف والجريمة لاطفالنا وشبابنا في الوقت الحاضر

هذا بعض ما يدور في اذهان الكثيرين من التساؤلات ومناقشة مدى شرعيتها العلمية على النحو التالي:

١ ـ هل يعمل التلفزيون في فراغ تام كعامل جوهري مستقل القوة والتأثير في احداث بعض اثاره المباشرة على الأطفال ام انه مازال يشكل جزءا من صورة حضارية اكبر قد يتعرض لها الطفل من خلال العيش في بيئة انسانية واجتماعية وبشرية مملوءة بالعوامل والمواقف والمثيرات والمتغيرات؟

ان حياة الأفراد والجماعات لم تعد تتأثر اليوم بمتغيرات قليلة محددة بل ان هناك مجموعة كبيرة من المتغيرات الثقافية التي صاحبت ومازالت تصاحب عملية التغير الاجتماعي بوجه عام.

ومن هنا.. يصبح مطلب تشخيص آثار التلفزيون كعامل جوهري وبصورة مستقلة من المطالب التي يتعذر تحقيقها ان لم تكن بالمستحيلة على معطيات البحث العلمي المعاصر

على ان مثل هذه المعوقات المنهجية ينبغي الا تقعدنا عن متابعة الجهد العلمي لتفريد بعض المتغيرات الخاصة بالتلفزيون وعزلها عن الواقع الاجتماعي العام للطفل في المستقبل رغم ايماننا بصعوبة مثل هذا المطلب وصعوبة امكانية تحقيقه.

٢ ـ هل يؤثر العنف التلفزيوني على الأطفال بشكل واحد؟ لقد اظهرت بعض الدراسات الميدانية ان الأطفال بوجه عام لا يتأثرون بالتلفزيون وبمشاهد العنف التلفزيوني بشكل واحد، فالواقع ان هناك من الأطفال من يستطيع التمييز بين الحقيقة الواقعية وبين الخيال العلمي او الخيال الترويحي، كما أن قلة قليلة من الأطفال هم الذين يتأثرون بالتلفزيون بوجه عام وان الذكور في الغالب اكثر تأثراً من الاناث، كما ان بعض الدراسات العلمية الميدانية اظهرت ان الأطفال بوجه عام يقلدون السلوك التلفزيوني بسهولة، فالعنف المصور في التلفزيون وفي وسائل الاعلام المختلفة لا يدفع الطفل العادي الى تقليده مباشرة او حتى ممارسة بعض صوره أو انماطه.

ويمكن القول بأن ردود فعل الفرد الذي يشاهد العنف المصور تقوم على ارضية ثقافية عريضة معقدة قوامها مجموعة سركبة من العوامل الاسرية والشخصية والبيئية المختلفة، والتأثير الايجابي للبيت وتأثير جماعة اللعب قد يشكلان أحياناً درعاً واقياً ضد سلبيات مشاهدة العنف التلفزيوني.

٣ ـ هل هناك علاقة سببية بين برامج العنف والجريمة وبين زيادة معدلات الجريمة وجنوح الأحداث أو انحرافهم؟

غالبا ما يستهوي الأطفال مشاهدة المقاتلة بالأيدي أو بالسلاح أو باستخدام بعض انماط العنف ولكن الطفل لايتعلم السلوك الجانح من خلال المشاهدة التلفزيونية، ان السلوك الجانح ظاهرة معقدة التركيب حيث

تخضع الى مجموعة مترابطة من العوامل والمتغيرات والظروف والعوامل الشخصية والبيئية، بعضها جوهري والبعض الآخر عوامل ثانوية مساعدة ولكنها جميعها تعمل في مجال كلي كبير ، ولا ينفرد في التأثير عامل واحد أو متغير واحد.

قد يكون بضع حالات استثنائية يقلد بها بعض الأطفال انماطا اجرامية سبق لهم مشاهدتها على شاشة التلفزيون ولكن مشاهد العنف والجريمة يشاهدها عدد هائل من الأطفال الا ان حالات قليلة جدا أو فريدة في نوعها هي التي تثبت استجابتها للمشهد التلفزيوني اي ان بعض هؤلاء الأطفال قاموا بتقليد مشاهد تلفزيونية معينة تأثروا بنماذجها.

ان الدراسات العلمية المتيسرة في هذا الشأن تؤكد ان الطفل لا يقلد النماذج التلفزيونية في حياته العادية تقليدا اعمى فيرتكب جريمة سرقة خزانة حديدية كالتي شاهدها في برنامج تلفزيوني معين،ان التقليد الفعلي لجريمة السرقة لا يمكن ان يتم الا اذا تهيأت للطفل المواقف المناسبة والظروف المشابهة لذات المواقف والظروف التلفزيونية التي شاهدها الطفل كما أن هذا لا يكفي لحصول التقليد بل ان فعل السرقة لا يتم عن طريق التقليد الا اذا سمحت اخلاقيات وقيم الطفل الذاتية لارتكاب فعل السرقة وهذا جميعه يشكل مجموعة كبيرة من المتغيرات لا يمكن ان تكون مطابقة بصورة تامة.

إن ظروف تنشئة الطفل الاجتماعية ومدى صلابة قيمه ورسوخ اتجاهاته نحو الخير والحلال والعدل تشكل العامل الأساسي الرادع لحصانة معنوية تقف بوجه الاغراء المحتمل مهما قويت ظروفه وتعددت فرصه.

وبإيجاز فان الأطفال الذين يتميزون بعدوانية سابقة هم الذين يتأثرون اكثر من غيرهم بمشاهد العنف التلفزيوني ، ذلك انه في داخل كل منا نزعة

عدوانية غريزية نحو التدمير أو الايذاء أو الموت ولكن مثل هذه النزعات الغريزية تختفي وراء مجموعة من الحواجز الاجتماعية والكوابح الأخلاقية والثقافية والدينية، ولذلك فان قراءة قصة قتل درامية أو مشاهدة عنف مروع فيه تنفيس خيالي يفرغ فيه القارىء أو المشاهد للبرنامج التلفزيوني بعض مشاعره العدوانية الدفينة المكبوتة ولكن القراءة أو المشاهدة لا تكفي لترجمة القصة أو المشهد الى فعل حقيقي يمارسه القارىء أو المشاهد لأن مشاهدة السلوك العنيف لا تستتبع بصورة آلية تقليده بالممارسة الفعلية له

إن هيكل التنظيم الاجتماعي الذي يشتمل على مجموعة المعتقدات الدينية الراسخة في الضمير الانساني والاعراف والأنظمة والقوانين والقيم الاجتماعية والأخلاقية المتصلة بمفاهيم الخير والعدل والعفة والشرف والأمانة جميعها تشكل لدى الانسان السوي درعا واقيا صلبا تتكسر على سطحه كافة النزعات العدوانية المحرمة والمكبوتة في اعماقنا اللاشعورية، وهي لاشك مشاعر ممنوعة محرمة تتربص الانطلاق لدى اول فرصة سانحة.

٤ ـ والآن هل يمكننا التأكيد هنا بأن العنف التلفزيوني لا يؤثر على الأطفال أو على الناشئة من الشباب بشكل أو بآخر؟

لقد ذكرنا فيما سبق ان التلفزيون لا يمكن ان يظل عنصرا حياديا في تأثيره على بعض الأفراد أكثر من غيرهم فهو لذلك يؤثر على المشاهدين ومن هنا فهو يؤثر على الأطفال الصغار تأثيرا سلبيا ولكن تحت ظروف معينة وعلى المدى الطويل ، ان التلفزيون يؤثر على الأطفال الصغار بوجه خاص لأنه ييسر لهم أنماطاً سلوكية تصلح للتقليد في ظروف مستقبلية لاحقة وذلك حين تسنح الفرصة له للتقليد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان مشاهدة الطفل للعنف المتكرر يوقف لديه عملية الاستثارة بالعنف عند حد معين، الأمر الذي يفقده شهية طلب المزيد من هذه الاستثارة. ان مثل هذا

يفقده القدرة على الاستجابة نحو بعض المواقف التي تستدعي تعاطفه مع الآخرين وذلك حينما يتعرضون الى المتاعب أو المخاطر أو الى العنف وذلك لأنه لا يشاطرهم الشعور بمواقف العنف ولا تستثيره مواقفه.

وقد يصدق هذا الأمر في غالبية مواقف الاستثارة التي تتبلد لدى الفرد من جراء تكرار مشاهدته لمواقف العنف، فالمشاهدة المستمرة لمشاهد العنف الجسمي والقسوة البدنية والمواقف المرعبة تؤدي على المدى الطويل الى تبلد الاحساس بالخطر والى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعض مواقف الصراعات أو ممارسة السلوك العنيف ذاته، كما أن عرض صور حياة الرفاهية والبذخ الكبير لدى بعض الطبقات الموسرة قد تضاعف الشعور بالرغبة الطاغية لبلوغ مثل هذه المستويات المرموقة العالية فان تعذر بلوغها بالطرق المشروعة فلا بأس من بلوغها بطرق غير مشروعة

٥ ـ هل يشكل التلفزيون عاملا جوهريا قويا في تكوين اتجاهات الطفل السلبية والايجابية أو بلورة مجمل قيمه في الحياة؟

إن التلفزيون لا يمكن ان يقوم بهذا الدور الفعال بمثل هذه السهولة المتصورة، فالأطفال يكتسبون بعض معارفهم وقيمهم وانماطهم السلوكية من مصادر اخرى الى جانب التلفزيون احيانا. ومع ذلك يظل دور التلفزيون كبيرا ومهما وفعالا حين تجف الينابيع التي يستقي منها الطفل معرفته وحين تنعدم مصادر خبراته الحياتية في حقل أو بعض حقول معينة من المعرفة المطلوبة.

أما الطفل بوجه عام فهو عنصر ايجابي وليس وعاء سلبيا يصب فيه التلفزيون برامجه أو يقذف اليه بما يشاء من مادة تشكل مجمل معارفه، وربما من المفيد ان نؤكد هنا ان الأطفال لا يشكلون نمطا واحدا في استجابتهم

للتلفزيون وقبول برامجه المختلفة، فقد يختار الطفل بعض ما يناسب اهتماماته أو ينسجم وحاجاته ورغباته ويصرف من الوقت في مشاهدة ما يلبي بعض حاجاته وبواعثه، وعلى الرغم من ان تأثير التلفزيون يختلف باختلاف الأطفال انفسهم الاّ أن هناك تأثيراً مشتركاً عاماً يخضع له الأطفال كمجموعة بشرية متجانسة ذات سمات متشابهة

لقد اظهرت بعض الدراسات الميدانية والمختبرية كيف ان بعض اتجاهات وقيم الأطفال الاجتماعية يمكن ان تتشكل من خلال المشاهدات التلفزيونية المتكررة كما قد يستثير المشهد التلفزيوني بعض الأطفال بشكل يفوق ابعاد المتعة العابرة أو التسلية المؤقتة وقد يصبح التلفزيون مصدرا لاثراء خبرات الطفل الحياتية فيما لو تحمل المسئولون عن تخطيط برامجه بعض المسئولية لجعل هذا الجهاز جزءا حيويا مكملا للبيئة الاجتماعية للطفل، فالتلفزيون لو احسن اختيار الطريق العلمي للتعامل مع الطفل يمكن ان يكون خير بيئة صالحة مكملة لبيئته الطبيعية وخير مؤسسة اجتماعية تمد يد العون للمؤسسات الاجتماعية الأخرى العاملة في حقل تنمية خبرات الطفل وتطوير قدراته وبلورة اهتماماته وتعزيز قيمه الاجتماعية ومثله العليا وترسيخ عقيدته وغرس شعوره الوطني وولائه القومي نحو امته ووطنه ودينه.

المراجـــــع

أولاً: المراجـــع العربيـــة:

١ ـ أثر برامج العنف والجريمة على الناشئة بدولة الكويت. دراسة نظرية تحليلية عدنان الدوري. وزارة الاعلام. دولة الكويت ١٩٧٧م.

٢ ـ دراسة عن آثار وسائل الاعلام في الدول العربية الخليجية وعلاقتها بجنوح الأحداث. هالة أحمد العمران. دولة البحرين. نموذجا ـ المنامة ١٩٨٣م.

٣ ـ وسائل الاعلام وأثرها في ثقافة الطفل العربي. ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربي الحديث. ياسر المالح. الكويت ١٩٨٣م.

ثانياً: المراجـــع الأجنبيـــة:

1 Bernard Berelson, The People Look at Television, New York, Alfred A. Knopf, 1963.

2 - Charles Wright, Mass Communication, Random House, New York, 1959.

3 Fredric Wertham, A Sign for Gain: An Exploration of Human Violence, Macmillan, New York, 1966.

4 - Otto N. Larsen, (ed.), Violence and The Mass Media, Harper & Row, 1968.

5 Rodney Stark, Social Problems, Random House, 1976.

6 Surgeon General's Scientific Advisory Committee on Television and Social Behavior - The Impact of Televised Violence, Washington, D.C., 1972.

7 - Surgeon General's Scientific Advisory Committee on TV and Social Behavior, Television and Growing Up - U.S. Government, Washington, D.C., 1972.

مسئولية الاعلام تجاه تجارب التقليد في المجتمع العربي المعاصر

الدكتور أبوبكر باقادر*

تعيش المجتمعات الانسانية اليوم عصر الاتصالات الجماهيرية (وسائل الاعلام)، بأنواعها المختلفة وتباين ما تقدمه، والوظائف المختلفة التي تؤديها، وفعالية هذه الوظائف ومدى تأثيرها على المجتمعات الانسانية. هذا ولا يعيش اليوم مجتمع ما بمعزل عن الاحتكاك الثقافي والاعتماد المتبادل مع المجتمعات الانسانية الأخرى.

والمجتمع العربي يعيش وسط هذه الدوامة، دوامة الاحتكاك الثقافي، يقوم فيها المجتمع العربي بدور المقلد والمتفاعل مع المواد التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية، على أن المجتمع العربي في وضع مستهلك ومستهدف في هذا الاحتكاك والاعتماد المتبادل ـ أي أنه تبادل احادي الجانب ـ مما يجعل المجتمع العربي في وضع خارج عن ارادته يجعله يفكر ملياً في هذا الاحتكاك، يدرس ويقيم هذا الاحتكاك. دواعيه ونتائجه.

ومن أبرز جوانب هذا الاهتمام والدراسة اثارة التفكير العميق حول المستهدفين من هذا الاحتكاك الثقافي في المجتمع العربي: عمرهم، دخلهم، مستواهم التعليمي واهتماماتهم الثقافية وأخيرا مواجهة السؤال الملح على هذا المجتمع عن كيفية مواجهة المد الثقافي وايجاد صياغة جادة وجديدة عن دور ومسئولية الاعلام وبالذات فيما يخص العلاقة الثقافية بين المجتمعات الانسانية والمجتمع العربي.

(*) كلية الآداب. قسم الاجتماع. جامعة الملك عبدالعزيز جده.

سنحاول في هذا البحث معالجة دور وسائل الاتصالات الجماهيرية (وسائل الاعلام) وتوضيح أثرها في الاحتكاك الثقافي وخاصة في علاقة المجتمع العربي بذلك مع التعرف على الايجابيات والسلبيات الناجمة عن هذا الاحتكاك، اضافة الى التعرف على مدى استهداف "الشباب" ذكوراً وإناثاً وما يمكن أن ينجم عن هذه الاتصالات. وفي الختام تقييم مبدئي لدور ومسئولية الاعلام واقتراح بعض الأفكار ـ بناء على التقييم ـ لصياغة جديدة لمواجهة الاحتكاك الثقافي القائم.

ونقصد بوسائل الاعلام كافة الوسائط لنقل رسالة أو فكرة ما الي جمهور عام سواء كان محدداً بعينه أو بمواصفاته، وتتميز وسائل الاعلام الحديثة بأنها متعددة الأشكال، متباينة الوسائل فهي مسموعة، مشاهدة، مقروءة، ومحسوسة على شكل سلوك وخلافه، هذا ولقد أخذت وسائل الاعلام في صورها العديدة وسائل مختلفة في ايصال رسالتها مستخدمة ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة وفعاليتها للوصول الى أكبر عدد من الجمهور المستهدف والعام، اضافة الى تعدد أشكالها فالمسموعة مثلا لم تعد محصورة في الخطب والندوات محصورة بزمان ومكان محددين وجمهور محدد وقامت الاذاعات وأجهزة التسجيل بمختلف أنواعها بايصال الرسائل الى جماهير واسعة وليس بالضرورة محدودة بوقت أو مكان.

وكذلك المقروءة فهي في أشكال منها الاعلان والنشرة والجريدة والمجلة والكتاب، أما المشاهدة منها فهي التلفزيون والسينما والفيديو والفيديوديسك و لاشك سيكون هنالك الكثير من الجديد، وقربت وسائل المواصلات الحديثة احتكاك المجتمعات حسيا ببعضها البعض مما جعل أشكال السلوك التي بدأت تظهر في شكل ظواهر اجتماعية في مجتمع ما تنتقل من مجتمع لآخر وبصورة سريعة حاملة معها قيماً وفلسفات وأفكاراً. بمعنى ان وسائل الاعلام جعلت امكانيات انتقال المعلومات والأفكار متعددة ومنتشرة وميسرة.

ومما يلفت الانظار ويستحق العناية والتفكير ان هذه الامكانيات تقوم فعلا بنقل المعلومات والأفكار والقيم بل وهي وسيلة تربوية وترويحية لايمكن الاستغناء عنها. فوسائل الاعلام هي التي يعتمد عليها كل المجتمعات لتلقي وفهم بل وتشكيل الأحداث والأخبار سواء كانت هذه الأخبار سياسية أو اقتصادية أو رياضية أو علمية أو غيرها بحيث ان زمن تلقي المعلومات من غير هذه الوسائل لايعتد به أو يعتمد عليه، وأصبحت هذه الوسائل هي المنبر الرسمي وغير الرسمي لبث الأفكار والقيم سواء كانت هذه الأفكار والقيم سياسية ايدلوجية أو دينية أو مذهبية

ونظرا للامكانيات الهائلة والمتعددة لوسائل الاتصال هذه فانها غدت أهم وسيلة لتشكيل الرأي العام الدولي والمحلي فهي الوسيلة لتعليم الجماهير وتسليتهم وتوجيههم.

بسبب ما تقدم تعددت وظائفها فهي أداه سياسية توجيهية هامة هي وسيلة ترويحية للسلع والأفكار والمبادىء بل هي وسيلة اقتصادية مربحة بما تدره من ارباح بصفتها وسيلة ترويحية وتعليمية حتى غدت موادها تعامل أحيانا كسلعة ـ وان كانت سلعة لها دلالاتها وقيمتها المميزة ـ حيوية هامة، بل أصبحت أحياناً وسيلةً لابتزاز وتجهيل بل والسيطرة على المجتمعات والجماهير لايجاد وتشكيل وخلق أنماط استهلاكية جديدة.

ولما كان تأثير وفعالية هذه الوسائل كما توضحه النظريات المختلفة الدارسة لها يفوق التوقع والتصور خاصة قدرتها على احتكار توصيل وتوزيع المعلومات والأخبار يجعلها تكتسب قوة وجبروتاً منقطعي النظير وسحرًا لا يقاوم مما يزيد من فعالية وتأثير ما تبثه من أفكار ومعلومات.

اذا أخذنا كل ما سبق ذكره بجدية ولاحظنا ان وسائل الاعلام هذه خاصة فيما يتعلق بمادتها الاعلامية محصورة ومحتكرة في مجتمعات محددة بعينها

ـ بالطبع نحن نتحدث على أساس النسبة المئوية ـ لأمكننا أن نقسم العالم الى عالم منتج للمادة الاعلامية وعالم مستهلك لها فقط، اي مجتمعات معينة هي التي تشكل وتحدد المادة الاعلامية التي ينبغي ان تعرف أو تستقبل أو تقرأ وعلى بقية المجتمعات الانسانية ان تتلقى وتستوعب وتتفاعل ـ ولكنه تفاعل أحادي ـ مع هذه المادة الاعلامية.

واذا اعتبرنا ان انتاج المادة الاعلامية يشكل رأسمال ثقافي فان بعض المجتمعات استطاعت ان تجعل من تراكمه مادة اقتصادية تبلغها من فرض هيمنتها الفكرية وتصورها لما يجب ان يكون عليه النظام الدولي..بمعنى ان عملية الانتاج هذه تحولت قوة قد تكون امضى من قوة السلاح والمال معا مع جمعها لتأثيرهما بل وتفوقها عليهما. وتصبح المجتمعات المستهلكة في وضع تلق دائما مما يجعلها مادة طيعة التشكل ازاء ما يصلها مما يهددها في قيمها وفلسفاتها وعاداتها بل في هويتها الثقافية والقومية.

ومما يزيد من سوء الوضع ان امكانيات تغلغل وانتشار وتأثير هذه الوسائل في اتساع وما تقدمه تكنولوجيا العصر من وسائل لتحسين أداء هذه الوسائل وادخال وظائف وفعاليات ومجالات جديدة عليها تكاد تكون غير محدودة بل ان سرعة ووسع انتشار تغطيتها يتزايد مع الأيام بحيث أصبح العالم "قرية اعلامية" كما أعلن ماكلهون.

هذه الحقائق وهذا الواقع الذي لايمكن تجاهله أو انكاره وسع دائرة الاحتكاك الثقافي بين المجتمعات وأصبحت النظريات المختلفة المرتبطة بالتقليد الثقافي وطرق انتقال الثقافة (الأفكار والقيم والعادات والمنتجات المادية والمعنوية) من مجتمع لآخر تأخذ شكلا آخر.

فليس الإشكال هوالكيفية التي تنتقل بها أو إمكانية الانتشار، بل أصبح الإشكال هو الطرق المختلفة التي تستقبل بها المجتمعات هذه المادة الاعلامية وتنوع الاستجابة أو المقاومة لديها إزاءها.

فنظرية ايفرت روجرز وزملائه تحدد فئات المجتمعات الى مستجيبين أوائل ومترددين ورافضين وتحاول ان تسبر أغوار كل فئة تدرس خصائصها والأسباب التي تجعلها تسلك سلوكها.

والملفت للنظر ان النظرية تنظر للمادة الاعلامية «كسلعة» يمكن ان تصدر وتسوق في أشكال جذابة مغرية، ولما كانت عملية "التسويق" هذه مهمة لمصالح عديدة ولأسباب ودواعٍ لايمكن حصرها ولأن العالم قد اتصلت أجزاؤه أصبحت عملية توجيه الاستهلاك الثقافي من القضايا الهامة للمصدرين والمستهلكين.

بالنسبة للدول العظمى ـ وهي الدول المصدرة الرئيسية للمادة الاعلامية اليوم ـ تصبح عملية الاستهلاك هامة وخطيرة فهي وسيلة الدعاية والسيطرة بل والاستعمار عن طريقها. يمكن ان تصبح لها الدول الاخرى بل وشعوبها منقادة طيعة.

أما بالنسبة للمجتمعات المستهلكة فيصبح غزوا فكريا وتسلطاً وارهاباً وتدخلاً وتوجيهاً لتلك المجتمعات في بنيتها الأساسية "ذاتيتها وكيانها"

والمجتمع الاسلامي وخاصة العربي منه.. بسبب موقعه "الوسط" الاستراتيجي ومكانته الثقافية والحضارية والتاريخية ولما له من أهمية سياسية واقتصادية دوليا ولأنه محط أنظار وأطماع الدول العظمى فاننا ـ لهذا كله ـ لا نستغرب ان يكون موضع استهداف وقصد.

لـــذا ، فاننا لا نستغرب كثافة المادة الاعلامية الموجهة لمنطقته بلغاته .ولا نكون قد جانبنا الواقع ان قلنا ان منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق في العالم استقبالاً لمادة اعلامية متعددة المصادر.

ويتضح ذلك من التركيز على وسائل الاعلام الاذاعية، يليها الكتاب (المادة الاعلامية المقروءة) وأنواع محددة من المادة المشاهدة لأسباب تكنولوجية في الوقت الحاضر

ولما كان المجتمع العربي عامة مجتمع صاحب "ثقافة شفاهية" فان أكثر الوسائل أهمية ورواجا المسموع والمشاهد منها. وهي التي تطورت في الأزمنة الحاضرة،والجدير بالذكر ان هذه الوسائل يصعب بل يستحيل فرض رقابة فعالة عليها ومن ثم لايمكن السيطرة على مادتها الاعلامية أو التضييق على التقاطها من المستهدفين بمادتها.على عكس المقروء والسلوكي .ولما كانت هذه الوسائل بالذات من خصائصها تقديم الأفكار والقيم والمعلومات في صورة ترويحية جذابة تصعب في أحيان كثيرة مقاومتها أو رفضها.

وتعتبر المجتمعات الغربية من أهم مصادر تصدير المواد الاعلامية ولهذه المجتمعات قيمها وعقائدها وفلسفاتها بل ومطامعها وطموحاتها وعداؤها التاريخي للعالم العربي وقيمه ودينه وحضارته وتاريخه. لذا فان استغلال خطورة وفعالية هذه الوسائل تستخدم استخداما مبيتا في شكل غزو فكري مركز.. ويقف العالم العربي صامدا أمام هذا المد بكافة أنواع المقاومة التقليدية معتصما بمكونات حضارته ولكن المقاومة موقف سلبي لاشك انه يهن أو يضعف ان استمر الهجوم وتعددت وسائله وفعاليته.

لـــذا. يجد العالم العربي نفسه ـ وستزداد وطأة ذلك مستقبلا ـ عاجزا وذلك لأن عملية الانتقاء والاختيار والتفضيل أصبحت في خضم الكم الهائل المصدر أو المستقبل صعبة ان لم تكن مستحيلة.

وتزداد وطأة هذه الحالة اذا أدركنا ان المصدرين يعرفون الكيفية المثلى في نشر مادّتهم الاعلامية وتوجيهها الى المجموعات الاجتماعية المختلفة

فالشباب الذين هم ـ عادة ـ أكثر تأثراً وتقديراً للحضارة الغربية ومعطياتها يكونون أقل مقاومة من كبار السن الذين أحيانا لا يدركون مرامي المادة الاعلامية في صورتها المقصودة. مما يشكل فجوة بين الأجيال، وأخطر تلك الفجوات ما كان منها في الاستهلاك الثقافي.

وأدى تفاوت الدخل داخل المجتمع العربي الى خيارات جديدة ومتعددة للاستهلاك الاعلامي وبالذات في المشاهد منهاوالسلوكي مما يخلق ازدواجية في الاستهلاك على أساس الدخل، وعلى الرغم من ان مستوى التعليم يؤدي عادة الى تحسين نوعية الاستهلاك الثقافي وخاصة ما يشكل رأسمال ثقافي في شكل مواد علمية جادة الا اننا نلاحظ في العالم العربي ميلا للاستهلاك الترويحي البذخي حتى عندّ الجماهير المتعلمة، ويمكن أن يُعزى ذلك الى فعالية وصرامة مراقبة هذه المواد الاعلامية ـ التي عادة ما تكون في شكل مقروء وهي الاسهل للمراقبة ـ اضافة الى انها مادة اعلامية تتطلب جهدا ووقتا غير عابر لهضمها وفهمها ودراستها، وهي عادة ما تكون ذات أشكال لا تثير سوى فضول اقلية وعلى عكسها فان المواد الاعلامية الترويحية الاتجاه تعكس صورة مكانة اجتماعية عالية وذلك بفضل الاستهلاك الباذخ والهرج المحيط بها والانطباع العام المعروفة به

خلقت هذه الأوضاع وضعاً ثقافياً جديداًيتميز بالعالمية ـ عالمية غربية المنحنى والمحتوى ـ والسطحية وعدم الجدية حتى في معالجة الأمور الجادة خاصة ما يتعلق بالقيم والدلالات العميقة لمعاني الأشياء ـ واستمرارية التغير والتبدل بل وتحويل الثقافة الى سلعة تتجاذبها تيارات الموضة وعوامل السوق.

واستطاع هذا الوضع الى درجة ما تقليص دور الذاتية الثقافية وعطاء الثقافة المحلية وان ابقت عليها عوامل المقاومة لدى مجتمع ما فانها تتحول الى فلكلور كثقافة بادت. ويجب ان تعامل على هذا الأساس فهي للمتعة وليست للتفكر أو الحياة.

ويتضح ذلك في اتجاهات الاستهلاك الثقافي في العالم العربي فاننا نجد ان الاتجاه العام لا يبشر بدور فعال وتصميم جاد لتمكين الثقافة الأصلية ان تلعب دورها الرائد وعلى العكس فتحت معظم القنوات الثقافية على تصيد واستقبال الثقافة العالمية في صورتها التي وضعت سواء كان ذلك بشكل رسمي أو غير رسمي

ولقد بدأت نتائج هذا الوضع تبرز على السطح فالجميع يلاحظ التغيرات العديدة في بنية المجتمع العربي وذلك في أنظمته الاجتماعية وقيمه وأفكاره وطرق واسلوب حياته في الملبس والمأكل التي يمكن ربطها ربطاً مباشراً بهذه المواد الاعلامية الوافدة. والصورة تكون أجلى وأوضح في مجموعة الشباب الذين لهم دور بارز في تسيير المجتمع العربي.

وما يحير هو ان الاندفاع تجاه تقمص وتبني هذه المادة الاعلامية وانها تتم بسرعة مذهلة ودونما تأمل او تفكير بحيث أن أموراً كثيرة كانت من الركائز الثقافية أصبحت فلكلور لا وجود له الا في المتاحف او في صور محنطة، وادت السرعة المتهورة الى عدم توفر الوقت للتفكير بل حتى لهضم ووعي هذه الثقافة الوافدة ممايشكل اضافةالى اضاعة ركائزنا الثقافية وهويتنا دونما وجود مبرر حقيقي وما يتم تبنيه يتم بشكل سطحي قشري وبصورة متغيرة مما ينفي فكرة الأصالة او العمق في الاستهلاك الثقافي وبذلك تنتفي الجدية والدراسة والتأمل في حياتنا، بحيث أصبحت مجتمعاتنا مشغولة عن نفسها حتى أصبح التفكير في الذات أمراً غير وارد.

قد يتهمني البعض من العرض السابق بأنني قد بالغت واسقطت على الاعلام دورا خطيرا وصورت الوضع في شكل متشائم جدا بحيث يصبح السؤال عن امكانية مواجهة هذا المد الثقافي ملحة ان كان الوضع كما ذكر قبل ان اعالج مسألة المواجهة أود أن أؤكد أن الوضع قد يكون أخطر مما صورته وعبرت عنه. ومن لم يصدق فليراجع ما كتب عن الموضوع وأثره حتى في المجتمعات المصدرة نفسها وكيف ان من يتحكم في وسائل الاعلام يتحكم في المجتمع في كافة مجالاته.

اضافة الى ان العالم العربي ـ مع الأسف ـ منطقة مكشوفة اعلاميا ليس فيها وسائل مواجهة او مقاومة او بدائل قوية ازاء ذلك المد العارم.

اذا اردنا بالمواجهة احاطة مجتمعنا بسياج لايمكن من خلاله ان تنفذ هذه السموم والمخاطر فأحب أن أؤكد أن ذلك مستحيل على ضوء الواقع المعاصر فالعالم بسبب تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة أضحى فعلا "قرية اعلامية" والمستقبل يزيد من تأكيد فعاليتها وشمولها. اضافة الى ان مجتمعا ما ـ حتى لو حاول ان يعزل نفسه عن العالم ـ سيجد ان من غير صالحه ان يحرم نفسه من ثمرات وخير هذه الوسائل بل ان قراراً مثل ذلك سيؤدي الى تخلف ذلك المجتمع وتجهيله .. على الرغم من استحالة امكانية أي مجتمع القيام بذلك على أية حال.

بناء على ما سبق فان المجتمعات لاخيار لديها في التعامل أو عدم التعامل مع وسائل الاعلام ومواجهة تبعاتها. ومن ثم على المجتمعات اما ان تستسلم لغلواء وتأثير وسائل الاعلام وبذلك تصبح فريسة سهلة، بحيث تصبح مجتمعات تابعة، وللأسف تشكل دول العالم الثالث قطاعاً كبيراً من هذه المجتمعات.

أما الخيار الآخر ـ وهو في نظري الخيار الحقيقي الوحيد ـ فهو ان يقدم المجتمع منافساً بذيلاً من ثقافته ومجتمعه بحيث يستقبله الجمهور ويستعيضه عن تلك القنوات الوافدة العالمية المفروضة. ولكن هذا الخيار هو الخيار الصعب فايجاد تلك المادة المنافسة ليس مما يسهل توفره، ولا اريد ان استفيض حول هذه النقطه فهذا هو موضوع دور ومسئولية الاعلام والاعلاميين العرب.

ولكن ما أحب أن أؤكده هو ان البرنامج الحسن الاعداد مادة واخراجاً يكسب جمهوراً غفيراً حتى إن كانت مادته علمية دسمة بل ان هذه المادة هي التي تخلق ولاء الجمهور المستهلك وليست السطحية والاثارة العابرة التجارية هي الأصل كما يدعي أصحاب الأعمال التجارية البحتة

وتلخيصاً فإنّنا نلاحظ أن وسائل الاتصال الجماهيرية في صورها المختلفة المتعددة المتطورة دائما لها تأثير عميق في تشكيل الرأي العام وتوجيه رغباته واثارة غرائزه بل حتى خلق احتياجات جديدة لم تكن موجودة. وتقوم وسائل الاعلام بهذا الدور معتمدة على الاثارة والسطحية والتغير المستمر ـ في الغالب ـ ولكن ينبغي ألاّ نتجاهل الفعالية والتأثير اللذين تتركهما هذه الوسائل ومن ثم الاشادة بأهميتها كوسائل لايصال الأفكار والقيم وانها ان أحسن استخدامها ستعطي أفضل النتائج.

وبناء على ما سبق أن ذكرت. أقترح التالي:

١ ـ ينبغي على المجتمعات العربية المسلمة ان تدرك خطورة وسائل الاعلام الجماهيرية ومدى فعالية التأثير الذي تتركه على الجمهور، خاصة أن المنطقة مستهدفة اعلاميا، لذلك عليها ان تعمل جاهدة على تقديم مواد اعلامية محلية منافسة حتى تتمكن من توجيه وخدمة المواطن على أحسن حال وبأفضل وسيلة

٢ ـ ينبغي ان تدرك المجتمعات العربية المسلمة ان المادة الاعلامية الحسنة الاعداد ذات المحتوى الجيد يمكن ان تنافس ويتقبلها الجمهور وان ما يقال عن تقبل الجمهور للمواد الاعلامية الهابطة ليس صحيحا

٣ ـ ينبغي ان ندرك بأن وسائل الاعلام تخلق الاحتياجات والاستهلاك لدى المشاهد والمستمع والقارىء ومن ثم بامكان الأجهزة الرسمية ان تستخدمها لرفع مستوى المواطن وان تخلق في المواطن الرغبة في العمل الجاد البناء اضافة الى استهلاك الثقافة العالمية.

٤ ـ يمكن للمجتمع العربي ـ بصورة جادة ـ ان يحول وسائل الاعلام الرسمية من جهاز رسمي للدولة الى ان يكون اضافة الى ذلك وسيلة فعالة وهامة في نشر الوعي السياسي والصحي والتنموي والاجتماعي والثقافي، بحيث تصبح هذه الوسائل قنطرة هامة لرفع مستوى المواطن وزيادة مشاركته في تنمية ورقي الوطن.

٥ ـ زيادة استخدام وسائل الاعلام للتعليم .. خاصة أن المجتمع العربي يتميز بمعدلات عالية من الأمية الحرفية والوظيفية وهذه الأمية تقف حائلا أمام رقي وتطور المجتمع بل ان السلطة المركزية وجمهور المثقفين مسئولون مباشرة كقيادات للمجتمع عليها ان تقوم بواجباتها في خدمة المجتمع بتكثيف جهوده للتخلص من آفة الأمية

٦ ـ على المجتمعات العربية ان تعمل مخلصة لحماية شعوبهامن التأثير السلبي لوسائل الاعلام خاصة الوافد منها وان تعتبر هذه الحماية مهمة وملحة وان تكون في شكل «أمن اعلامي» يهدد بناءها الاجتماعي وذاتيتها الثقافية ومصالحها المباشرة.

٧ ـ ان تعتبر قضية ايجاد البديل الاعلامي الجاد والمنافس مهماً وان تعمل بجد على تكوين الأطر الفنية القادرة على القيام بأعباء هذه المهمة وان يكون ذلك من الأولويات الملحة.

٨ ـ ان تهتم وسائل الاعلام بصورة جادة بأمور الشباب على أساس أنهم عنصر حيوي وحساس في بنية المجتمع العربي المسلم.

هـذا. ، وفي الختام نأمل ان تؤدي القيادات الثقافية مسئوليتها في التعاون مع أجهزة ووسائل الاعلام في اداء مهمتها بالنقد والتوجيه والمشاركة الفعالة وأن تستجيب وسائل الاعلام لتطور المجتمع العربي بل وتكون اداة فعالة وحاسمة في توجيه المجتمع والاسراع بتطوره وتفوقه.

البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية. بماذا تعد الشباب؟؟

الأستاذ سعد لبيب*

التمهيـــــد:

بانطلاق القمر الصناعي العربي. اكتمل جانب كبير س القطاع الارضي للشبكة والمتمثل في محطة التحكم الرئيسية في الرياض ، وفي المحطات الأرضية المتصلة بالقمر العربي والتي تقوم في الغالبية العظمى للدول العربية، وبهذا تهيأت الفرصة لأول مرة في التاريخ الاتصالي العربي لوجود شبكة اتصالات عربية تغطي المنطقة كلها، وتتكامل مع ماتم من وصلات ارضية ، وتحققت امكانات التواصل التليفزيوني بين كل اجزاء الوطن العربي، بالاضافة الى الخدمات الأخرى في مجال الاتصالات، وهو حلم طالما طاف بخيال الرواد الاعلاميين، والتلفزيونيين بوجه خاص، لما يؤدي اليه من دعم العناصر المشتركة في الحياة الاتصالية والثقافية والتربوية بين شعوب المنطقة، وما يهيؤه من فرص اكثر اشراقا لعصر عربي جديد يساهم بمزيد من الايجابية في حضارة عالمنا المعاصر

بعض حقائق عن القمر العربي:

ولعله من المناسب قبل الدخول في موضوعنا الأصلي حول البرامج التلفزيونية عن الأقمار الصناعية، وبماذا تفيد الشباب،أن نلقي نظرة سريعة على بعض الحقائق المتعلقة بالقمر الصناعي العربي وما يتيحه من امكانات في مجال التلفزيون ، وهنا اعود الى اقتطاف بعض ما ورد في كتيب اصدره

(*) كلية الإعلام. جامعة القاهرة.

اخيرا جهاز تليفزيون الخليج بالرياض بقلم الأستاذ الدكتور على المشاط المدير العام للمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية حول تكوين القمر الصناعي العربي وامكاناته، والذي اطلق عليه نظام "عـــرب ســات"

يضم هذا النظام قمرا صناعيا عاملا وقمرا آخر احتياطيا في المدار بعمر تصميمي قدره سبع سنوات لكل قمر، بالاضافة الى قمر ثالث مخزون على الأرض جاهز للاطلاق في حالة فشل اي من القمرين في المدار

وسعة هذا النظام على النحو التالي:

٨,٠٠٠ قناة هاتفية.

٧ قنوات تلفزيونية.

١ قناة جماعية.

وهنا لابد من التأكيد على ان اشارة القمر الصناعي العربي لا يمكن ان تلتقط عن طريق اجهزة الاستقبال التلفزيوني العادية، فهي ليست من نوع اشارة الأقمار الصناعية للبث المباشر، اذ لابد من وجود محطات ارضية خاصة بالقمر العربي تلتقط اشارته وتوصلها الى شبكة التلفزيون الوطنية، بمعنى انه لن يوجه برامجه مباشرة الى الجمهور وانما الى محطات التلفزيون في الأقطار العربية المختلفة التي تلتقط ما تراه صالحاً من برامجه، وتبثها ضمن برامجها العادية اما في ساعة التقاطها اي على الهواء مباشرة واما تسجلها وتعيد اذاعتها في الوقت الذي تراه مناسبا.

والاستثناء الوحيد هو بالنسبة للقناة التي سميت "القناة الجماعية" وهي قناة قمرية غزيرة الاشعاع يمكنها ان تغطي المنطقة العربية كلها او بعضها حسب الأحوال وتستقبل في أية منطقة من الأرض العربية دون ان تمر من خلال المحطات التلفزيونية الوطنية، وذلك عن طريق محطات ارضية

صغيرة رخيصة التكاليف، وبالتالي فهي تصلح لأغراض المشاهدة الجماعية في الأندية او المدارس او اماكن التجمعات العامة، كما يمكن توصيلها الى عدد محدود من المنازل عن طريق خطوط سلكية، ومن الممكن تشغيل هذه المحطات في الأماكن التي لم يصلها التيار الكهربائي حيث تعتمد على الطاقة المتولدة من حرارة الشمس.

وبالتالي. فان استطاعة نظام «عرب سات» ان يقدم الخدمات التالية في مجال التليفزيون بالاضافة الى الخدمات الأخرى التي يقدمها في مجالات خدمات المواصلات الهاتفية والتلكس ومراكز المعلومات وخدمات وكالات الأنباء وطباعة الصحف في اكثر من موقع، وما الى ذلك:

- **على المستوى الوطني**: يمكن توصيل البث المركزي الى اية بقعة نائية بعيدة عن الشبكة المركزية بشرط توفير المحطات الأرضية المناسبة، وبهذه الطريقة يمكن تلبية الاحتياجات التعليمية في الاطار المدرسي او خارج المدرسة في هذه المناطق بالاضافة الى الاحتياجات الثقافية والانمائية

- **على المستوى الثنائي او شبه الاقليمي**: يمكن ان تتفق دولتان او مجموعة من الدول في المنطقة العربية تتشابه احتياجاتها التعليمية والثقافية والانمائية على القيام بجهد مشترك لانتاج وبث البرامج التي تلبي هذه الاحتياجات سواء للمناطق الحضرية او المناطق النائية او لهما معا. ولا يشترط ان تكون هذه المجموعة س الدول متجاورة جغرافيا.

- **على المستوى القومي**: ربما امكن الوصول الى نوعية معينة من البرامج الثقافية او التعليمية تلبي احتياجات شعوب المنطقة العربية كلها، وهذه يمكن ان تذاع على الشبكة الفضائية وتصل الى اي مكان يراد لها الوصول اليه على الأرض العربية، وهذا هو الحلم الذي كان وما زال يراود الكثيرين من التربويين والاعلاميين والمفكرين العرب الذين يدركون ان مستقبل هذه الأمة رهن بدعم وحدتها الثقافية واستلهام منابعها الحضارية الأصيلة.

الخصائص الذاتية لمرحلة الشباب:

واذا كانت هذه هي بعض الامكانات التي يحققها القمر الصناعي العربي في مجال التلفزيون، فالسؤال المطروح هو: بماذا تفيد الشباب هذه البرامج التلفزيونية المنقولة عبر القمر الصناعي العربي، وهذا يقتضي ان نقف وقفة قصيرة لاستعراض مفهومنا لمرحلة الشباب من منظور اعلامي.

فقد اصبح للشباب مكانة خاصة في المجتمع المعاصر، ولعل من بين اسباب هذه الظاهرة ذلك التأثير الشامل الذي أصبح للشباب في كافة نظم المجتمع بحيث اصبح الانشغال بقضايا الشباب هو تعبير عن الاهتمام بمستقبل المجتمع كله.

والشباب ليس مجرد مرحلة زمنية تبدأ في الخامسة عشرة حتى الخامسة والعشرين، او قبل ذلك بقليل او بعده بعدد اخر من السنين، حيث يكتمل النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل المرء قادرا على اداء وظائفه المختلفة، وانما هو ايضا مجموعة من الخصائص والمواصفات التي ينبغي ان تؤخذ في الاعتبار عند نظرنا الى مرحلة الشباب ، وهي في كل الأحوال مرحلة لا تنفصل عن بقية مراحل العمر وخاصة مرحلة الطفولة والمراهقة، بل انها امتداد لهذه المرحلة الأخيرة بالذات، فالشباب لا يمثل مرحلة نمو مفاجيء، وانما هو استمرار طبيعي لعملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتستمر خلال كل مراحل الحياة.

ولعل من أهم خصائص مرحلة الشباب والذي جعل لها هذه المكانة المتميزة في المجتمع والتأثير الشامل عليه، انها تعبر عن تلك الفئة التي تتسم بأعلى درجة من النشاط والحيوية لما لها من خواص دينامية متفردة، كما انها تعتبر اكثر فئات المجتمع رغبة في التجديد وتطلعا الى تقبل الحديث من الأفكار والتجارب، على انها قد تتجه بحكم تكوينها النفسي والاجتماعي

نحو رفض المعايير والمستويات والتوجيهات التي يمارسها الكبار ، والذي قد يقع نتيجة التناقض الذي احيانا ما يحدث بين الذات المثالية والذات الواقعية في نفس الشاب.

وتتعدد حاجات الشباب النفسية، ومن بين تلك الحاجات التي يمكن لوسائل الاعلام الاسهام في اشباعها:

- الحاجة الى المعلومات والمعارف والثقافة العامة والاخبار.
- الحاجة الى مثل عليا واضحة.
- الحاجة الى تنمية واستغلال الاستعدادات والقدرات الخاصة
- الحاجة الى الترفيه وترشيد وقت الفراغ.
- الحاجة الى التوجيه والارشاد.

برامج التليفزيون والشباب:

واذا كانت هذه هي الحاجات في مرحلة الشباب التي يمكن مواجهتها عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، فان للتلفزيون وبرامجه وضعا خاصا في هذا المجال.

ولا أتعرض هنا للأسباب التي جعلته يحتل هذا الوضع الخاص وسأكتفي بذكر نتائج بعض البحوث الميدانية التي اجريت على الشباب في علاقتهم بالتلفزيون في بعض الدول العربية.

فقد ثبت من بحث اجراه اتحاد الاذاعة والتلفزيون في جمهورية مصر العربية في عام ١٩٧٦م حول تعرض الشباب لوسائل الاعلام المختلفة ان ٦٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام، فاذا طبقنا هذه النسبة على تعداد السكان في مصر الآن، وقد بلغ عددهم وفق تعداد ١٩٨٣م ٤٥ مليون

نسمة ٢٦٪ منهم من الشباب، لتبين ان عدد مشاهدي التلفزيون بانتظام من الشباب في مصر يصل الى حوالي ١٦مليون شاب.

وتزيد هذه النسبة في حالة الاذاعة فتصل الى ٩١٪ وتصل بالنسبة للصحف اليومية الى ٦٧٪ والمجلات ٥٩٪ والكتب ٤٣٪ والسينما ٧٠٪ والمسرح ٢٤٪

وفي بحث اجري في لبنان حول الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على الشباب وشمل عينة تصل الى ٣٨١ شابا في عام ١٩٧٩م (اي قبل الأحداث المؤسفة هناك) تبين ان ٧٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام وان ٦١٪ منهم يفضلونه على القراءة.

وفي بحث اجرى في الكويت عام ١٩٨٢م على عينة وصلت الى ٢٠٥٦ شابا بهدف التعرف على اتجاهات الشباب نحو المطالعة في المجتمع الكويتي المعاصر تبين ان التلفزيون صرف ٦٢٪ منهم عن القراءة في حين ان الاذاعة لم تصرف الا ٢٤٪ والسينما ٢٣٪

وعندما نتحدث عن مشاهدة التلفزيون بانتظام فاننا نعني بذلك المشاهدة التي تصل في المتوسط ما بين ثلاث واربع ساعات يوميا كما ثبت من بحث مقارن اجراه عام ١٩٨٢م على خمسة اقطار عربية المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لاتحاد اذاعات الدول العربية.

ومن هنا تظهر خطورة الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الشباب في المنطقة العربية والآثار التي يمكن ان تترتب على هذه المعايشة اليومية.

ولعله من المفيد هنا ان نشير الى بعض نتائج بحث اجراه اتحاد اذاعات الدول العربية هذا العام (١٩٨٣م) حول "اتجاهات البرمجة التلفزيونية في الوطن العربي" تم فيه التحليل الاحصائي للبرامج التلفزيونية في خمسة أقطار عربية هي: الجزائر، وتونس، ومصر، وسوريا، واليمن

الديمقراطية، وقد تبين منه ان نسبة المواد الأجنبية المستوردة من خارج المنطقة يصل في المتوسط الى ٣٠٪ من مدة الارسال وهو يصل في بعض الأقطار العربية الى ٥٠٪ من هذه النسبة

ولعل من اهم النتائج المتوقعة للاستخدام التلفزيوني للشبكة الفضائية العربية او نظام "عرب سات" الاقلال من الاعتماد على المواد الأجنبية واحلال مواد عربية محلها، فالمواد الأجنبية رغم كل الحرص في اختيارها ورقابتها من جانب المحطات العربية المستوردة لها، انتجت لمجتمعات غير مجتمعنا وهي بالتالي تحمل في طياتها ـ بشكل مباشر او غير مباشر ـ قيما غريبة علينا كثيرا ما تتعارض مع الترتيب القيمي السائد والمنشود في المجتمعات العربية.

فاذا اضفنا الى المادة الأجنبية في التلفزيون ما يشاهده الشباب في المنطقة العربية من افلام سينمائية في دور العرض العامة او منقولة على تسجيلات الفيديو، وما يتعرض له من اذاعات اجنبية،كثير منها يحمل قدرا لا يستهان به من القيم غير المرغوب فيها، لوجدنا ان الشباب معرض لخطر حقيقي وهو في هذه المرحلة المبكرة من النضج الاجتماعي.

ونحن اذا تأملنا خريطة العالم وما يموج به من صراعات عقائدية وايديولوجية وتأملنا خريطة العالم المحيط بنا لأمكننا ان نستنتج ببساطة اننا معرضون لحملة من التيار المعادي.

خطورة التيار المعادي:

والتيار المعادي هو ذلك الذي ينطوي على مجموعة من القيم التي تتناقض مع هويتنا الثقافية وتعمل على تحطيم مجموعة القيم والتقاليد التي تحدد معالم الشخصية العربية، وتمنحها طابعا متميزا له سماته الخاصة.

وهو الذي يعمل على توسيع الفجوة بين الأجيال دون محاولة لتذويب الاختلافات او بناء الجسور التي يعبر عليها كل جيل، وبذلك تتهيأ الفرصة لحدوث الصراع بين الأجيال بشكل حاد يقوض اركان التماسك الاجتماعي، وينمي الفردية، ويضعف الولاء للمجتمع.

وهو الذي يعمل على اضعاف الانتماء الى التراب الوطني والتراث الحضاري، وتوسيع قاعدة الاغتراب وفقدان المعايير دون تأصيل مستمد من تاريخ المجتمع وتراثه

ولعل الشباب يكون هو المستهدف في الدرجة الأولى، من هذا التيار المعادي بحكم طبيعته الرافضة ورغبته في الحصول على المعرفة من اي طريق، وفي ان يختار بنفسه قيمه ومثله وسلوكياته، بغير ان يكون مسلحا بالمعرفة الصحيحة لقيم مجتمعه واحتياجاته وتراثه الحضاري والثقافي.

وهذا التناقض هو الذي يوقعه في "أزمة الاغتراب"

"والاغتراب" تعبير عن عدم الرضا وعن "الرفض" للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان، واشده «فقدان الذات»، مما يخلق عند الفرد شعورا بالبؤس، فلا يستطيع ان ينمي حرية طاقته الفسيولوجية او العقلية، ويستحيل الى شخص منهوك القوى جسمياً، متمزق عقليا، ويرتبط بهذا شعور بالوحدة والخوف وعدم الاحساس بتكامل الشخصية، وشعور الانسان انه اصبح فردا بلا موضع واضح، ضحية ضغوط غامضة ومتصارعة، يعيش للمجتمع، ولا يجد من المجتمع ما يقدمه له، الأمر الذي يؤدي به الى فقدان الثقة وبالتالي عدم الالتزام الاجتماعي والتسيب.

ومن هنا كانت الحاجة الى بلورة فكر عربي اسلامي اصيل يستند الى القيم الدينية والتراث الحضاري والثقافي، في مواجهة هذا السيل من

التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم، وضرورة التوصل الى صيغة فكرية تربط هذه الأمة بجذورها واصالتها، وتمكنها ـ في الوقت نفسه ـ من الانطلاق في عالم اليوم وتشق طريقها الى عالم الغد، وهو عالم مضطرب يشتد فيه الصراع الذي يستند الى ارضية فكرية وايديولوجية

ما يستفيده الشباب والتلفزيون من القمر العربي:

انطلاقا مما ذكرنا من امكانات الشبكة الفضائية واحتياجات الشباب فمن الممكن ان يكون التوجه في انتاج البرامج التلفزيونية التي تذاع على هذه الشبكة وتستفيد منها الدول العربية كلها او بعضها، وفق عدد من المحاور المتصلة بالثقافة وبالتعليم وبالتنمية

ويلاحظ هنا أن الشباب الذي نعنيه ليس شباب المدارس والجامعات او خريجيها، فالشباب مرحلة من العمر يمر بها الطالب وغير الطالب، ابن المدينة وابن القرية وابن البادية، الذين يدرسون والذين حرموا فرصة التعليم، الذين يعملون في سنى شبابهم والذين يستعدون فيها للعمل بالدراسة والتدريب.

وسنحاول فيما يلي القاء بعض الضوء على نوعيات هذه القطاعات من البرامج التلفزيونية:

١ ـ البرامج الثقافية:

هي البرامج غير المنهجية التي تهدف الى تزويد المشاهدين بالمعلومات والمعارف في مجالات الحياة المختلفة، وتساعدهم على تكوين المواقف الفكرية والعاطفية اللازمة لفهم حركة المجتمع والتلاؤم معها. وهذه

البرامج قد تكون موجهة الى جمهور المشاهدين بشكل عام، وقد تستهدف جمهورا محددا كالنساء او الأطفال او الشباب، أو الذين تجمع بينهم اهتمامات خاصة، في مجالات العلوم او الموسيقى او الفن او الهوايات المتعددة.

والتثقيف هو زيادة المعرفة بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس، خاصة فيما يتصل بنواحي الحياة العامة، وتساعد هذه الزيادة على اتساع افق الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث،والتثقيف بالنسبة للفرد عن طريق وسائل الاعلام بشكل عام والتلفزيون بشكل خاص اما ان يكون عارضا او مقصودا.

والتثقيف العارض يشمل جوانب المعرفة التي يكتسبها الفرد بتعرضه لهذه الوسائل دون قصد او تخطيط سابق منه، وتزيد فرص هذا التعلم العارض كلما كان محتوى المادة الاعلامية جديدا او معروضا من وجهة نظر جديدة، او شيقا، كما تتدخل حاجات الفرد الشخصية فيما يتعلمه تعلما عارضا من وسائل الاعلام وفي مقداره لأنها هي التي تدفعه الى الاهتمام بما يسدها.

وكثيراً ما يكون التثقيف العارض واضحا في الحصيلة اللغوية للأفراد بما تضيفه وسائل الاعلام من كلمات وعبارات جديدة اوجدتها ظروف الحياة وتطورها، ولما كانت اللغة اللفظية من اهم وسائل الاتصال والتفاهم فان زيادة حصيلة الانسان منها تسهل عملية اتصاله بالغير ومن ثم تكون حياته الاجتماعية اكثر فاعلية.

أما التثقيف المقصود فهو حصيلة اتجاه الفرد الى وسائل الاتصال وتفاعله معها بهدف معين ووفق خطة طويلة او قصيرة، ويتوقف على عمق

اتجاه الفرد نحو الافادة من هذه الوسائل، على انه ينبغي ان يكون مفهوما ان الثقافة ليست فقط مجموعة المعلومات والمعارف في موضوعات شتى، وانما هي في الدرجة الأولى، وكما ينظر اليها علماء الاجتماع النظرة العامة الى الوجود والحياة والانسان، وهي كذلك موقف من هؤلاء جميعا، وقد يتجسد هذا الموقف في تعبير فني أو مذهب فكري أو مبادىء تشريعية أو سلك اخلاقي عملي، والثقافة بهذا المعنى الشامل هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من المعتقدات والفلسفة والفن والأدب والتشريع والقيم الاجتماعية السائدة.

والثقافة تعبير عن هذا كله، وهي ايضا وسيلة فعالة لتغييره.

ويعنينا في الدرجة الأولى هنا التركيز على قضية القيم الاجتماعية ذلك ان اي مجتمع يحتاج في كل فترة من فترات تطوره الى اعادة النظر في سلم القيم الاجتماعية التي تحكم العلاقات بين الأفراد وتحدد المواقف والاتجاه بالنسبة لعدد من القضايا الفكرية والاجتماعية، كما تحدد انماط السلوك، فيختار منها مجموعة القيم التي تساعد عملية تطوره ونموه، يدعمها ويحافظ عليها، ويعمل على تعديل القيم التي تعوق حركته أو تعطل نموه.

ونذكّر هنا. بما سبقت الاشارة اليه من ان الشباب هم اول من يستجيب لعمليات التعديل القيمي بحكم استعداداتهم النفسية وعدم اقتناعهم بكثير من القيم القديمة التي اصبحت تعطل من حركة المجتمع.

ومن هنا كانت اهمية البرامج التي توجه بشكل مباشر أو غير مباشر الى الشباب وتتصل بالقيم الاجتماعية.

ومن بين الجوانب الأساسية لعملية التوجيه الثقافي للشباب في المجتمع الحديث بوجه عام موقف واتجاه الأفراد نحو تاريخ المجتمع الذي يعيشون

فيه، ذلك ان التقييم الصحيح للماضي هو الأساس الذي ينبني عليه الانطلاق في الحاضر والمستقبل ، فالحاضر ينبثق عن الماضي، ولا يستطيع المرء ان يدرك الواقع الذي يعيشه بكل ابعاده الحقيقية الا في ضوء التحليل الدقيق لتاريخ مجتمعه.

ولعل الشباب ان يكون اكثر الفئات الاجتماعية حاجة الى تكوين اتجاه علمي نحو تاريخه، فهو اكثر هذه الفئات حاجة الى المعرفة واكثرها قدرة على استيعابها، وبهذا يصبحون في موقف يمكنهم من ادراك الحاضر اليومي الذي يعيشون فيه ادراكا سليما تنبىء عليه نظرتهم للمستقبل.

وفي اطار الثقافة والمعرفة أيضا يذهب كثير من علماء الاجتماع الى ان ازدياد اعتماد الشباب على المعرفة العلمية من شأنه ان يدعم احساسه بالواقع وينمي فيه القدرة على حل المشكلات التي تنشأ خلال الحياة اليومية، في اطار النسق الاجتماعي القائم، ولذلك فان رفع مستوى الوعي العلمي للشباب هو من بين اساسيات برامج التنشئة الاجتماعية، بالاضافة الى انه من بين الدعامات الرئيسية التي تعتمد عليها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

والتفكير العلمي هو الذي يؤدي الى سيادة المنطق ونبذ الخرافة واحلال العقل محل الخضوع لمجموعة من المسلمات التي قد تتعارض في مرحلة معينة مع متطلبات تقدم الفرد والجماعة، وفي مثل حضارة القرن العشرين الميلادي التي تعتمد اعتمادا اساسيا على العلم والتكنولوجيا، فان تربية الشباب على احترام العلم والتعامل مع قواعده ومنجزاته يصبح من ضرورات الحياة.

وقد اضاءت شعلة الحضارة العربية والاسلامية ظلمات الجهالة التي كانت تتخبط فيها الانسانية على مدى قرون طويلة، وبرز منها الرواد في

جوانب العلوم الطبيعية المختلفة، وآن لأحفادهم ان يحملوا الشعلة من جديد، وان يبدأوا في المشاركة في دفع عجلة العلم الى الامام.

وتجدر الاشارة هنا الى التوصية العربية المقدمة الى مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا واقترحها الاجتماع العربي للتحضير للمؤتمر "بغداد، مايو - آيار ١٩٧٩م" وقد جاء فيها:

ان التخلف العلمي على مستوى الوطن العربي هو التحدي الحقيقي الذي يجب ان تتركز السياسات والتخطيط على المدى البعيد للقضاء عليه، وان دخول العلم يتطلب تكثيف وتكامل الجهود العربية لا مجرد التعاون والتنسيق فيما بينها.

٢ - البرامج التعليمية:

تنقسم بدورها الى عدد من النوعيات هي:

أ - البرامج المدرسية: والمقصود بها هنا البرامج التي ترتبط بمناهج التعليم المدرسية أو النظامية والتي تشمل كل مراحل التعليم، بما في ذلك التعليم الجامعي، ويدخل في هذا الاطار البرامج المعدة للافادة بها في الفصول الدراسية أو تلك التي توجه الى الدارسين خارج فصول الدراسة، ويسميها البعض برامج الاثراء، وطبيعي ان هذه البرامج لا تتعرض للمنهج الدراسي كاملا، بل تختار منه المواقع التي تحتاج الى الشرح أو الايضاح بالوسائل الميسرة للتلفزيون أو الاذاعة الصوتية.

ب - برامج تعليم الكبار: وهي البرامج التي توجه الى الرجال والنساء والشباب خارج اطار التعليم النظامي بهدف تزويدهم بطريقة منهجية

بالمعارف المتصلة بموضوع معين أو لاتقان أية مهارة عملية أو فنية أو علمية، أو للتمسك باتجاه أو سلوك معين، وذلك بدءاً من عملية القراءة والكتابة، الى اعقد امور التخصص الجامعي ومابعد الجامعي، ويسميه البعض بالتعليم المستمر

جـ - **برامج التعليم المفتوح**: وهي البرامج التلفزيونية والاذاعية التي تتعاون مع غيرها من الوسائل التقنية كالتسجيلات الصوتية والمرئية والمواد المطبوعة، في تقديم مناهج تعليمية كاملة لدارسين محددين من كبار السن أو من هم في سن الدراسة ولا تمكنهم ظروفهم المختلفة من الالتحاق بالتعليم النظامي، ولا يجمعهم مكان واحد، ويلتقون مع موجهيهم اذا دعى الأمر على فترات محددة، ويزودون بشهادة تخرج وفقا للشروط التي تحدد من قبل في النظام المنشىء لهذا النوع من التعليم.

ونقطة انطلاق البرامج التلفزيونية التعليمية بأنواعها المختلفة هي ان التلفزيون يعتبر من اكثر وسائل الاتصال قدرة على المعاونة في العملية التعليمية لأسباب كثيرة لعل من اهمها:

- انه وسيلة اتصال جماهيري موجهة الى اعداد كبيرة من الناس وليس لفئة قليلة مختارة وانها بطبيعتها تسمح باعادة انتاجها والحصول على نسخ متماثلة وبطريقة غير محدودة (خصوصا بعد انتشار اجهزة الفيديو).

- انه ينقل الصوت، وهو من الخصائص التي تشترك معه فيها كل من السينما والاذاعة والتسجيلات الصوتية ، وللصوت اهمية خاصة في التعليم الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على الكتب المدرسية وغيرها من المواد المطبوعة التي غالبا ما تفتقر الى اثارة الاهتمام والى التأثير العاطفي اللذين يجعلهما الصوت امرا ممكنا.

ـ وهو وسيلة بصرية ولذلك فانه الوسيلة المناسبة لعمليات الايضاح البصرية بما تتضمنه من عرض الأشياء والعمليات المختلفة والعلاقة بين بعضها البعض.

ـ والحركة خاصية رابعة من خصائص التلفزيون، والحركة نفسها تثير الاهتمام، وحين تخضع الحركة لخطة منطقية لها هدف محدد تزداد الرغبة في التعلم ويزداد الاقبال عليه

ـ وأخيرا فان التلفزيون وسيلة جامعة بمعنى انه يمكن عن طريقه عرض جميع المواد السمعية البصرية الأخرى.

واذا كانت هذه الخصائص الذاتية للوسيلة تجعلها اداة هامة من ادوات التعليم الا ان طريقة استخدام هذه الاداة ايضا من شأنها ان ترفع من قيمتها التعليمية:

ـ فمن الممكن استخدامها في مخاطبة الدارسين مباشرة، والتعليم المباشر كما هو معروف هو اكثر الوسائل فعالية في ترغيب الدارسين وحثهم على الاقبال على التعليم.

ـ ان للتلفزيون القدرة على عرض الشخصية التي تظهر في الكاميرا في صورة تبدو اكثر من الحياة والواقع ومن ثم اكثر قدرة على التأثير

ـ قدرة التلفزيون على تكبير اصغر الأشياء تعتبر من اكبر المزايا التعليمية.

ـ وبالمثل فان بالامكان تكبير الصوت في التلفزيون.

وهذه الخصائص والميزات تفيد في كل الأنشطة التعليمية التي يقوم بها التلفزيون، ما يتعلق منها بالتعليم المدرسي أو تعليم الكبار، وقد درج العرف على استخدام مصطلح "تعليم الكبار" امتدادا من النظرة القديمة الضيقة للتربية والتي كانت ترى ان من اهم وظائفها ـ ان لم تكن وظيفتها الوحيدة ـ امداد الفرد بالمعلومات التي تنفعه في مستقبله والتي تشكل ثقافة

المجتمع وتراثه الفكري، اما اليوم فقد تغير هذا المفهوم للتربية كلية فأصبح لا يقتصر على امداد الفرد بالمعلومات اللازمة وانما يرى ان هذه المعلومات لا تشكل الا جزءا من العملية التربوية وانها تتسع لتشمل كذلك امداد الفرد بالمهارات الضرورية التي يحتاج اليها في حياته العملية ولتشمل كذلك تزويده بالاتجاهات الصالحة التي يعتقد المجتمع ضرورة ايمان افراده بها، ولذلك فقد كان اولى بنا استخدام مصطلح "تربية الكبار" بدلا من "تعليم الكبار" لولا الخشية من الخروج على المألوف، واكتفاء بالتنبيه الى أن مانعنيه بهذا المصطلح هو التربية وليس التعليم.

وهناك تصور لمفهوم تعليم الكبار يقصره على محو الأمية، ولاشك أن هذا التصور ضيق وقاصر، وهو اكثر قصورا على اعتبار محو الأمية عبارة عن امداد الفرد بالمهارات الأساسية كالقراءة والكتابة، ذلك لأن محو الأمية في ذاته لا قيمة له مالم يعتبر جزءاً من برنامج كلي متكامل لتعليم الكبار يهدف الى تنمية حياة الفرد والمجتمع من جميع النواحي

إن تعليم الكبار ـ في التصور الذي يتبناه هذا البحث ـ له طبيعة خاصة تميزه عن التعليم النظامي اي التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات، واهم ما يميزه انه يعتني بتعليم الشباب والكبار من الرجال والنساء الذين لا تتاح لهم اوقات محددة للدراسة والذين يحملون على اكتافهم مسئوليات عمل يرتزقون منه ويتحملون مسئوليات عائلية ويعانون في بعض الأحيان من مشكلات مالية، كما يعنى تعليم الكبار كذلك بأنشطة الشباب خارج حدود المدارس، وبالاضافة الى هذا فإن تعليم الكبار ينبغي ان يهتم كذلك في بلادنا العربية ـ وبصفة مؤقتة وضرورية ـ بتقديم التسهيلات التربوية للأطفال الذين لا يجدون الفرص للحصول على التعليم الالزامي.

ويتصل "بتعليم الكبار" ذلك النوع الآخر من التعليم الذي يسميه البعض التعليم المفتوح أو "التعليم عن بعد" على أنه من المتفق عليه ان هذا النوع من التعليم يتميز بالخصائص التالية:

- انه نظام مكمل لنظام التعليم المدرسي، فالتعليم المفتوح لا ينازع في الدور القيم الذي تقوم به المدارس والجامعات في المجتمع، ولكنه يحاول ان يواجه الاحتياجات التعليمية التي لم يواجهها النظام المدرسي ويعمل هو على تلبيتها، على الأخص بالنسبة لهؤلاء الذين تحول الظروف المختلفة بينهم وبين الانضمام الى التعليم المدرسي.

- يعتمد التعليم المفتوح على وسائل الاعلام المختلفة وعلى الأخص الراديو والتلفزيون بالاضافة الى المطبوعات عن طريق المراسلة و من اجل هذا سماه البعض "بالتعليم عن بعد" بالنظر الى امكانية الحصول عليه من جانب الدارسين البعيدين عن مراكز المرافق التعليمية

- وأخيرا. فإن التعليم المفتوح يتميز بالمرونة من حيث مناهجه والشروط التعليمية، والفترات الزمنية المحددة للمناهج ومن حيث معايير النجاح، وهذه المرونة لازمة واساسية اذا ما اراد التعليم المفتوح ان يستجيب للاحتياجات التعليمية والمهنية المتغيرة دائما.

٣ - برامج التنمية:

وهي البرامج التي تهدف الى تنمية المجتمعات الخاصة التي تتميز بالتقاء اهتمامات أفرادها، أو اشتراكهم في ظروف بيئية أو اجتماعية أو ثقافية معينة، وتلتقي هذه البرامج مع برامج تعليم الكبار في انها تركز على المعلومات والمهارات أو انواع السلوك التي من شأنها ان تفيد المتلقي وتساعده على تطوير حياته ولكنهما تختلفان في الالتزام بالمنهجية، فبينما

برامج تعليم الكبار تخطط بطريقة منهجية تقدم فيها الموضوعات وفق نظام خاص يعتمد على التسلسل والتراكم، نجد برامج التنمية متحررة من هذه المنهجية وتخطط بحيث يمكن ان يستفيد المتلقي من اي برنامج منها بصرف النظر عن درجة متابعته لبرامج سابقة.

وتحاول هذه البرامج عادة معالجة مشاكل التخلف في مجالات الصحة وتربية الطفل وفي مواجهة مشاكل التحضر، ونعني بها مشاكل التكدس والاتساع غير المخطط للمدن العربية، وكذلك التخلف في مجالات الزراعة والرعي وتربية الحيوان والصيد، كما تحاول دائما الوصول الى المجتمعات النائية أو المحرومة من الخدمات التعليمية والثقافية والاعلامية المناسبة.

ولابد من الاشارة هنا الى ان التنمية لا تعني التنمية الاقتصادية فحسب، فهي بمعناها الشامل تضم جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية بحيث تتفاعل جميعها مع بعضها في ذلك الاطار، فالتنمية عملية حضارية شاملة لمختلف اوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الانسان وكرامته، والتنمية ايضا بناء للانسان وتحرير له وتطوير لكفاءته واطلاق لقدراته للعمل والبناء.

والتنمية هدف مستمر وقدرة على التغيير والنمو والتطور، وهي مسألة نسبية ودائمة التغير ولذا فإن اهداف التنمية وفقا لما يحتاج اليه المجتمع في مرحلة معينة ووفق ماهو ممكن التحقيق، والاحتياج وامكانية التحقيق يتغيران تبعا للظروف.

وجدير بالذكر هنا ان البرامج التلفزيونية للتنمية شأنها شأن برامج تعليم الكبار تعتمد اعتمادا اساسيا على مشاركة الشباب، ذلك ان من بين شروط النجاح خطط التنمية الشاملة، ومن بينها التعليم خارج المدرسة، والمشاركة النشطة من جانب افراد المجتمع المستهدف من هذه الخطط،

وبغير هذه المشاركة تصبح خطط التنمية مجرد عمليات بيروقراطية مكتبية لايمكن ان تحقق اهدافها، والمقولة المشهورة هنا هي ان الانسان هو هدف التنمية كما انه وسيلتها، والمشاركة الشعبية بطبيعتها تحتاج الى القيادة الطوعية والى القدوة، وليس غير الشباب يستطيع تولي هذه القيادة وتقديم القدوة.

إن عمليات تغيير السلوك الاجتماعي والمواقف والاتجاهات الاجتماعية، وتعلم القراءة والكتابة والتدريب المهني على سبيل المثال لا يمكن ان تحقق اية نتيجة ايجابية من مجرد اذاعة برامج تلفزيونية تقدم المعلومة والتوجيه المناسب، بل لابد من تدعيمها بعمل ميداني شعبي يقوم على التطوع ويستفيد مما تلقاه الناس من برامج التلفزيون.

الاستخدام التلفزيوني والتربوي للقمر العربي:

كانت المنظمات والاتحادات العربية المعنية باستخدام الشبكة الفضائية العربية والعاملة في اطار جامعة الدول العربية قد اتفقت فيما بينها خلال مشاركتها في "ندوة استخدام اقمار الاتصالات في الخدمات الاذاعية والتلفزيونية" التي عقدت في الرياض في الفترة من ٧ - ١٠ ديسمبر ١٩٨١م، على اعادة تشكيل "اللجنة العربية المشتركة لاستخدام الشبكة الفضائية العربية في اغراض الاعلام والتنمية"

وقد تأكد أن الجهد الذي تبذله هذه المنظمات والاتحادات لا يمكن ان يحقق ثماره على النحو المأمول الا اذا نسقت انشطتها وبلورتها في اطار خطة شاملة ومتكاملة، وعهد الى اتحاد اذاعات الدول العربية بالقيام بأعمال الأمانة العامة لهذه اللجنة

ويشترك في عضوية هذه اللجنة بالاضافة الى اتحاد الاذاعات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية والاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية وجهاز تليفزيون الخليج، ومؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج ومكتب التربية العربي لدول الخليج، واتحاد الصحفيين العرب، واتحاد وكالات الأنباء العربية وادارة الاعلام بجامعة الدول العربية كما اشتركت منظمة اليونسكو والاتحاد الدولي للمواصلات بصفة مراقب.

وعقدت اللجنة اجتماعها الأول في الرياض بدعوة من وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية في أواخر فبراير وأوائل مارس عام ١٩٨٣م، واقرت عددا من المبادىء والمشروعات التي عهدت بتنفيذها الى المنظمات والاتحادات الأعضاء، على ان تتولى اللجنة عمليات المتابعة والتقويم من خلال امانتها العامة أو من خلال اجتماعاتها الدورية

ينصب جانب من هذه المشروعات على الدراسات والبحوث التمهيدية والمطبوعات التعريفية ويتناول جانب منها التدريب ورفع مستوى المهارة الفنية للعاملين كما يتناول وضع نظم وترتيبات التبادل الاخباري التليفزيوني وينصب جانب اخر على وضع الترتيبات الادارية الاجرائية والمالية المتصلة باستخدام القمر العربي، ويتناول الشق الهام من هذه المشروعات عمليات الاعداد والانتاج لنوعيات البرامج التلفزيونية المختلفة في مجالات التثقيف والتربية والتنمية وهو الجانب الذي يعنينا في هذا البحث.

وفي ضوء المبادىء التي رأتها اللجنة والمشروعات التي اقرتها، وضعت المنظمات المعنية بالاستخدام التليفزيوني والتربوي للقمر العربي خططها لعام ١٩٨٤م، وبعضها وضع كذلك خطط عام ١٩٨٥م، ويتعاون في تنفيذ هذه الخطط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع اتحاد اذاعات

الدول العربية ومؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج ، كما يتعاون جهاز تليفزيون الخليج مع مكتب التربية العربي لدول الخليج ومؤسسة الانتاج.

وتهدف هذه المشروعات الى انتاج عدد من البرامج التليفزيونية الثقافية بهدف دعم العناصر المشتركة في الثقافة العربية سواء منها القديم أو المعاصر، ويدخل في هذا التعريف بالتراث العربي والاسلامي، والتعريف بالمدن العربية الكبرى، والشخصيات العربية الرائدة في جوانب الحياة المختلفة سواء في الماضي أو في الحاضر وتقديم الفن العربي المعاصر

وفي اطار البرامج الثقافية وتأكيداً لأهمية تزويد الشباب بالقدر الملائم من مبادىء العلم والتكنولوجيا بما ييسر لهم فهم الواقع حولهم ويعاون في خلق تيار عام مساند للسياسات العلمية فقد تقرر انتاج خمسين حلقة من برنامج تليفزيُوني باسم «العلم للناشئة» تتولى تنفيذه مؤسسة الانتاج التليفزيوني المشترك لدول الخليج العربية وبدعم من الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وبعض مصادر التمويل العربية الأخرى.

وتدور هذه البرامج حول مجموعة من المحاور هي:

- تبسيط العلوم المتصلة بالحياة.
- التعريف بالتراث العربي والاسلامي في مجال العلوم
- تقديم التطورات التكنولوجية
- الثقافة البيئية بما يفيد في الحفاظ على البيئة الطبيعية والعربية
- بناء العقلية العلمية وتأكيد الأسلوب العلمي في السلوك واتخاذ القرار

وفي مجال برامج التربية سيخطط الانتاج برامج تليفزيونية تعليمية موجهة الى الطلاب في الوطن العربي تتناول القضايا الأساسية من مناهج المواد المختلفة ويتم تنفيذها من خلال ادارات التليفزيون التربوي في

الأقطار المؤهلة لمثل هذا الانتاج، وهذه البرامج مما يطلق عليه برامج «الاثراء» حيث توجه الى الطلبة خارج الفصول ويمكن أن تفيد المشاهد العادي إذ أن ارتباطها بالمنهاج ارتباط غير مباشر

وسيقوم الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالاتفاق مع مؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج بانتاج عدد من حلقات محو الأمية، ويلاحظ هنا ما سبق أن ذكرناه من أن هذه البرامج لن تكفي بذاتها كمنهج متكامل لمحو الأمية، بل ينبغي أن يصاحبها جهد محلي لاستثمار النتائج المتوخاة من هذه الحلقات، وهي حث الأمي على التعلم ووضعه على بداية الطريق وتزويده بالمعلومات الأساسية التي يحتاجها، ويرتبط بهذا أيضاً مجموعة البرامج التي يجري اعدادها للاذاعة مع الشبكة الفضائية أيضاً وتهدف الى المعاونة في تدريب المعلمين الميدانيين الذين تحتاجهم حملات محو الأمية .. ومعظهم من الشباب حملة الشهادات المتوسطة وغير المؤهلين تربوياً

أما في مجال التعليم المفتوح وما يتصل به من فكرة انشاء جامعة عربية مفتوحة فقد استقر الرأي على ضرورة اجراء مزيد من الدراسات في الفترة القادمة والدخول في تجارب محدودة للنظر بعد ذلك في امكانية وضع نظام شامل لها يأخذ في اعتباره استغلال امكانيات القمر العربي.

أما بالنسبة لبرامج التنمية التي تستغل امكانات القمر العربي فقد تبنى هذا الموضوع جهاز تليفزيون الخليج بدءا من عام ١٩٧٩م حيث طرح فكرة اعداد قناة تلفزيونية خاصة تقدم برنامجا خليجيا مشتركا يذاع في وقت واحد من جميع الدول الأعضاء بالجهاز، ويركز على الجانب التعليمي غير المدرسي وجانب التنمية، يتم بثه عبر القمر الصناعي العربي وقد عاونت بعثة من اليونسكو في بلورة الفكرة وتطويرها.

ووافق وزراء اعلام دول الخليج على الفكرة من حيث المبدأ وعهدوا الى الجهاز باتخاذ الاجراءات والدراسات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ.

وفي سبيل تنفيذ هذه الفكرة عقد الجهاز اجتماعا للخبراء اطلق عليه «الاجتماع التحضيري لانتاج برنامج تلفزيوني لخدمة اهداف التنمية والتعليم بمنطقة الخليج باستخدام القمر الصناعي العربي

وقد حدد الخبراء في تقريرهم النهائي الأهداف العامة للبرنامج ومن بينها:

- تعويض أولئك الذين لم يحالفهم الحظ في الانخراط في سلك التعليم المدرسي ، بالمعارف والخبرات النافعة، واكساب المشاهدين وخاصة النساء بعض مهارات شئون الاسرة التي من شأنها تحقيق حياة اسرية افضل.
- المساهمة في جهود محو الأمية في منطقة الخليج
- العمل على تنمية وتحسين مستوى اداء اصحاب الحرف المهنية واليدوية.

واشترك مكتب التربية العربي لدول الخليج في تحديد نوعيات البرامج التنموية التي يقترح ان تكون لها الأولوية في هذا البرنامج الخليجي المشترك والذي تقرر اعتباره نواة لتجربة عربية شاملة تتبع نفس الأسلوب في مرحلة تالية.

نظرة الى المستقبل:

لعل الانطباع الأول الذي نخرج به من هذا العرض ان الطموح اكبر كثيرا من حجم المشروعات التي تم التخطيط لتنفيذها، وان التحدي الحضاري الذي يواجه المنطقة العربية كلها بالدخول في عصر الفضاء يقتضي مزيدا من العناية

فالاعتمادات المالية التي خصصتها المنظمات والاتحادات المعنية بالاستخدام التليفزيوني والتربوي للقمر العربي لا تكاد تصل الى ١٪ مما يصرف على بناء القمر واطلاقه في مداره والتحكم في مساره وتشغيله، واذا كان هناك اطار تنظيمي يشرف على الجانب التقني في هذه العملية هو "المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية" في الرياض، فليس هناك اطار تنظيمي مقابل مسئول عن عمليات الانتاج للافادة التلفزيونية والتربوية من امكانات القمر على المستوى العربي، والمنظمات والاتحادات التي تشارك في هذا العمل بما وسعها من جهد ليست جهات انتاج وليس لديها الخبرة أو المال أو الأطر التنظيمية اللازمة لهذا العمل.

واذا كنا نتحدث عن قضية الشباب في علاقتها ببرامج القمر العربي فينبغي الا ننسى ان قضية الشباب هي - بحق - جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع كله، واي علاج لقضية واحدة بعينها من قضايا هذا المجتمع دون النظر الى سائر القضايا فيه اغفال للنسق الكلي للمجتمع، وهو القضية الأساسية التي ينبغي ان تكون محور الدرس والتأمل.

ولكن هذا لا يعني ان هناك مشاكل معينة ترتبط بمرحلة ينبغي ان نتصدى لها في الاطار الاجتماعي الشامل، ولنتذكر ان الشباب هو القنطرة التي يعبرها الناشيء تاركا خلفه طفولته، ومستقبلا امامه رشده.

والشباب على هذه القنطرة يتأرجح ويتردد، وينكمش ويندفع،ويهدأ ويثور،ويخاف ويتشجع،ويصل آخر الأمر الى الطرف الآخر، ونحن نريده أن يصل صالحا فتيا، متينا قويا، قادرا على تحمل مسئوليته، وعلى الاستمتاع بتحقيق ذاته تحقيقا يتوافر فيه رضاؤه عن نفسه، ورضاء المجتمع عنه.